الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم العلوم الاجتماعية
تخصص : فكر عربي اسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الموسومة بـ :

الرمز و المعراج الصوفي
ابن عربي انموذجا

إعداد الطالبة:
حليمة مداس

إشراف الأستاذ(ة):
د.خديجة بلخير

لجنة المناقشة:

أ :	محمد بوروينة	رئيسا
د :	خديجة بلخير	مشرفا و مقررا
د :	عمر بن سليمان	مناقشا

السنة الجامعية : 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر و العرفان .

بسم الله الرحمان الرحيم

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " سورة التوبة 105

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

«الله جل جلاله»

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة والنور العالمين

«سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم»

كما لا يسعني إلا أن أخص بأسمى بعبارات الشكر والتقدير إلى من مد لي يد العون لإنجاز هذا البحث إلى الأستاذة الكريمة التي أشرفت علينا الدكتورة "بلخير خديجة" فلقد غمرتني برعاية علمية دقيقة ميزها تواضع العلماء كما كان تقويمها ثريا بالملاحظات القيمة التي نبهتني إلى الكثير من الأمور فشكرا جزيلا أستاذتي الفاضلة.

كمل لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى القائمين على جامعة ابن خلدون تيارت وعلى رأسهم رئيس الجامعة ومحافظ المكتبة وكل عاملين عليها.

شكراً

الإهداء.

إهداء إلى من كله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من احمل اسمه بكل افتخار ألف رحمة عليه كنت اتمنى أن ترى ثمرة تعبك

والدي العزيز.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة.

إلى رفيقة الدرب إلى أمي الثانية إلى شمعة التي تنير ظلمة حياتي إلى من أرشدتني في مشواري خالتي الحبيبة

زهرة، فاطمة.

إلى سندي في الحياة إلى من كان بمثابة قدوة لي إلى من رأى التفاؤل في عينه والسعادة في ضحكته في نهاية مشواري أريد أن أشكرك على مواقفك النبيلة دائما أخي

محمد، رابح.

إلى من زرعت التفائل في دربي إلى رفيقة عمري وسندي في الحياة إلى أختي الحبيبة

سهيلة .هند .حميدة . فاطمة . سلاف .....

إلى الإخوة والأخوات إلى من تميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي كل الطريق

أصدقائي.

***الى اولاد اخي* : هشام . ندير . عبد القادر . حليمة . انس . اية . بسمة . رتاج . خلود .مؤيد .....**

مقدمة

ارتكزت التجربة الصوفية لبناء نظامها المعرفي على لغة متميزة تختلف اختلافا جذريا على اللغة الفلسفية والعقلية، فأقصى ما يطمح إلى بلوغه الصوفي هو القرب من الله بالعبادات والمجاهدات، استند المتصوفة لطريقة خاصة في الكتابة تقوم على التعبير غير المباشر الذي يشير إلى أبعاد خفية يعانيها الصوفي وهذا ما جعلهم الى ابتكار لغة خاصة قوامها الرمز والإشارة.

من بين هؤلاء الصوفية ابن عربي الدي كانت لغته كلها رموز، الرمز عنده هو وجود موجود لما هو موجود، تعدد الرمز عند ابن عربي فمنه الموضوع بهدف إخفاء المعنى الحقيقي، ومنه المبهم الدي يجده العارف بدخوله الطريق، منه ما يتلقاه العارف عن طريق التجليات، ومن مظاهر الرمزية الأكبرية نجد فكرة الظاهر والباطن ويقتضي هذا عدم الوقوف عند المعنى السطحي للعبارة ولهذا يعتبر ابن عربي من القلائل الذين ملكوا ناصية الرمز ولهم القدرة التامة على تأويله لما بلغوه في التصوف من مرتبة أهلتهم لوارثة العلم النبوي، أوبلغتهم درجة الكمال والاتصال، وهو الكمال الذي يعبر عن قدرته على فهم رموز الحروف.

أهم ما ورثه المتصوفة عن الأنبياء هو السفر في عالم المطلق، وإدراك التجليات الإلهية في أسمى معانيها، يلعب الخيال الدور الأساسي في ذلك لأنه القوة الخلاقة في الإنسان وبه تميز بالكمال وبلغ درجة الاتصال.

لأجل كل هذا حظي ابن عربي بحيز كبير من اهتمام الدارسين للتراث العربي الإسلامي سواء من العرب أو من الغرب بحكم أن أعماله تمثل بوابة كبرى لمن أراد الدخول إلى عالم التصوف الإسلامي ومعرفة كيف يتطور وينتقل من الزهد إلى مرحلة الكشف يكمن سر قوة الفكر الصوفي الأكبري في رمزيته سعيا وراء الكمال وبلوغ المقام الذي لا يضاهيه مقام، وهذا ما جعل الفكر الصوفي أن يذاع وينتشر وينزل ضيفا مشرفا على عدة قطاعات أدبية دينية لسعة ما يحتويه من حقائق.

إن دراسة إشكالية الرمز والمعراج الصوفي سمحت لنا باكتشاف أن فكر ابن عربي تعد مجال المعرفة العامة ليغوص في الأسرار الإلهية المكنونة ورائها والتأثر بالأنبياء لأجل كل هذا حاولنا البحث في موضوع الرمز

والمعراج الصوفي بصياغة الإشكالية التالية: ما الهدف من استعمال الرمز في الكتابة الأكبرية وهل يتشابه المعراج الصوفي بمعراج النبي؟

للإجابة على الاشكالية التالية نطرح مجموعة من الفرضيات : منها ما موقف ابن عربي من الرمز؟ وفيما يكمن مفهومه، وماهي مراحل المعراج النبوي؟ وهل يعتبر معراج ابن عربي أول معراج صوفي؟ وفيما تتبلور رمزية المعراج الاكبري؟

لم يكن اهتمامنا بابن عربي وليد الفترة الراهنة بل لقد شد انتباهنا في السنوات الماضية وخاصة عند توجهنا إلى تخصص فكر عربي إسلامي، وعند تسليط الضوء على الفكر الصوفي زادت رغبتنا بمعرفته ودراسة أهم أفكاره كما شد انتباهي لغته المبهمة بتعابيرها الرمزية المعبرة عن صلب تجربته.

كما يضاف إلى هذا رغبتنا الشديدة في الغوص في خبايا الرموز ومحاولة التعرف أكثر على اللغة الأكبرية و رمزيتها، ورغبتنا في الغوص في مؤلفاته التي تعتبر خلاصة المعارف الصوفية والفكرية في الإسلام، ومحاولة التعرف على المبررات التي تجعله محل اهتمام العالم بأسره، والتعرف على أهم ما توصل إليه الفكر الصوفي من حقائق روحية على يد الشيخ الأكبر وخاصة في فكرة المعراج الصوفي.

تكمن أهمية الموضوع المعالج في تسليط الضوء على مفكر بارز في مشارق الأرض ومغاربها بحكم الأثر البالغ الذي تركه في الأوساط المسلمة وغير المسلمة إلى حد أنه يمتد إلى الفترة الراهنة بسبب ما قدمه من مواضيع كانت محل اشتغال الفلاسفة والمتصوفة منها وحدة الوجود، وحدة الأديان، الإنسان الكامل، الرمز، المعراج الصوفي، كما يكمن سر قوة الفكر الصوفي الأكبري في رمزيته المعبرة عن تجربة عظمى، كما له أهمية بالغة في تمثيله الأنبياء أحسن تمثيل ذلك أن الولاية هي استمرار لفاعلية وتأثير النبوة.

للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها وضعنا خطة أولية تتألف من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، ففي المقدمة سلطنا الضوء على أهمية البحث في اللغة الصوفية وخاصة الأكبرية منها، كما تطرقنا إلى مجموعة من

الأسئلة نسعى جاهدين للبحث عنها، مع تحديد المنهج المعتمد والإشارة إلى أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الموضوع.

في الفصل الأول نشرع فيه في حل الإشكالية من خلال الإجابة على بعض الأسئلة المطروحة سابقا، فسعينا إلى البحث عن بعض المفاهيم التي تمكننا من فهم الموضوع ومعرفة بعض حيثياته كما تحدثنا عن حقيقة التصوف عند ابن عربي وعن منابعه الأولى كما تطرقنا إلى الأحوال والمقامات التي يسلكها الصوفي في طريقه.

كما اختص الفصل الثاني حول جوهر البناء الرمزي عند ابن عربي من خلال الحديث عن اللغة في الكتابة الصوفية الأكبرية وهذا يمهد لنا الطريق بالحديث عن رمزية بعض الحروف عند الشيخ الأكبر ثم التوجه نحو الحديث عن الخيال والكشف الصوفي.

اما الفصل الثالث نواصل فيه الحديث بالتدرج إلى صلب الموضوع المدرج بعنوان حقيقة المعراج الروحي في تجربة ابن عربي من خلال تركيز الاهتمام في الأول إلى معرفة رحلة المعراج النبوي لمحاولة معرفة الفرق بينه وبين المعراج الصوفي ثم توجهه نحو الحديث عن السفر و رمزيته في فلسفة ابن عربي وختمنا فصلنا هذا بالرمز والرؤيا في المعراج الصوفي.

من خلال فصول البحث الثلاثة اتبعت منهجا تحليليا لمحاولة التغلغل به في النص الأكبري لفهم مراميه، وفك رمزيته، أو على الأقل إدراك السر في رمزيته لتعذر فهم الرمز في كل الأحوال، كما يفضي هذا بالضرورة إلى استعمال منهج آخر وهو النقدي سواء من خلال ما تطرحه بعض نصوصه أو من خلال ما يطلق على ابن عربي من أحكام من خصومه ومن أتباعه من الدارسين.

استعنا في بحثنا هذا على رسائل أكاديمية درست جوانب من فلسفة ابن عربي وكانت خادمة لنا في بحثنا وساعدتنا منها دراسة ساعد خميسي حول الرمزية في فلسفة ابن عربي الصوفية وهي أطروحة دكتوراه دولة

قدمت بكلية العلوم الإنسانة الاجتماعية قسم الفلسفة بجامعة منتوري قسنطينة سنة 2005 سلطت الضوء عن الرمز في الكتابة الأكبرية لكنه لم يتناول موضوع المعراج الصوفي بل تحدث عن السفر وأهميته.

رغم تعدد الدراسات فإن أصعب شيء واجهنا هو كيفية التعامل مع هذا الزخم الهائل من النصوص الصعبة المليئة بالرموز ومع الكم الهائل من المراجع والدراسات التي كتبت عن الشيخ الأكبر ابن عربي وصعوبة التعامل مع اللغة الصوفية.

الفصل الاول : التصوف المفهوم والمصطلح

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي(التصوف، الرمز، المعراج، السفر، الكشف، الخيال)

المبحث الثاني: حقيقة التصوف عند ابن عربي

المبحث الثالث :الاحوال و المقامات

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

قبل الدخول في صلب الموضوع لابد لنا من التعرض الى بعض المصطلحات التي تسهل علينا فهم الموضوع وحيثياته بشكل واضح وتام .

(1)- التصوف

إذا ما عرضنا إلى الحديث عن مسألة اشتقاق كلمة صوفي سوف نجد أنه كثر النقاش حولها، واختلفت الآراء، وهذا الاختلاف يعود إلى محاولة كل فريق إرجاع التصوف الإسلامي إلى مصدر بعينه.[1] ومن الآراء الرائدة من يقول أن الصوفية جاءت من أهل الصفة الذين يعزفون عن الدنيا والعيش مع الملذات الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم، فسمو صوفية وذلك لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد الرسول عليه السلام.[2]

أي معنى هذا الرجوع إلى المقومات الأولى التي جاء بها الإسلام والتمسك بالقيم الحميدة ومنع النفس وحسن السيطرة على الذات للابتعاد عن شهوات الدنيا.

فالتصوف هو الاسترسال مع الله تعالى، فهو عيش مع الله والله، وفي الله وبالله، وهو حفظ للأوقات وإسقاط للتدبير، وخوف من الله، ورجاء في الله، هو سلب للأوصاف المذمومة وتحلية لها بالأوصاف المحمودة، وهو يعد ذلك تجريد للتوحيد، فلا يشوب القلب خاطر شيطاني فيفسده ولا هوى فيظلمه وهو كشف عن الخواطر وبحث عن كل ما يخطر على سر الصوفي، فيسترسل مع ما هو حق ويتجنب ما هو باطل[3].

يعني بهذا أن التصوف يراد به إيعاد النفس من المحظورات وتقرب الذات إلى الله تعالى بفعل ما يأمر وترك النواهي.

---

(1)- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، رسالة ماجستير، اشراف مرتاض محمد ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان2006، ص:13.

(2)- المرجع نفسه، ص:13.

(3)- الشرقاوي حسن، معجم الألفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، مصر، ط(1)، 1987، ص:78.

و التصوف توبة نصوح من المعاصي ظاهرا وباطنا، وهو إخلاص لله على الحقيقة وطاعة بلا رياء، وتقرب بلا اشتراط، و حب بلا شهوات، وهو مجاهدة ومكايدة ومعاناة وصبر على الأذى.[1]

ومنه فإن موضوع أخر يذكر أن الصوفية مشتقة من "الصوف" الذي كانوا يلبسونه للخشونة، وهذه مجاهدة للنفس التي يريدون بها الوصول إلى العبادة المطلقة، وهم أهل الورع والتقوى، فهناك علاقة بين ارتداء الصوف، وبين التحقق من متع الحياة والميل إلى الزهد، والصوف لباس الأنبياء، ولذلك فاشتقاق الصوف أقرب الاشتقاقات إلى سلوك طريق ترويض الإرادة والعزوف عن متع الحياة.[2]

مرجع التصوف إلى لبس الصوف وهي عبارة عن مجاهدة للنفس عن مشقات الدنيا وتعبر عن شدة التحمل والصبر عن كل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ويراد به لغويا لبس الصوف أي التنسك والزهد في متاع الدنيا والتوجه إلى الآخرة.[3]

أي توجه الإنسان بأعماله وأفعاله إلى الخالق وترك كل شيء يلهي الإنسان عن طريق الصواب وسمو بالنفس عن الكبائر.

والتصوف في الفرنسيةmysticismeوهو طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، وهو حالة نفسية يشعر فيها المرء بأنه على اتصال بمبدأ على[4].

أي هو عبارة عن حالة تتخلص فيها النفس من كل ما يعرقل صفوها والتحلي بينما يرضي الله.

يمكن القول أن التصوف مهما تعددت تعريفاته عند الصوفية وأصحابه فإن جل شيوخه يجمعون على أنه طريق إلى الله تعالى غايته جل وعلا معرفة قوامها الكشف والعيان. هي غاية لا تحدث أو بأحرى لا يصل إليها الاعباد الله الذين بلغوا شأنا في عبادته، وقطعوا مدارج الطريق إليه حتى وصلوا إلى مرتبة الولاية، فكانت

---

[1]- المرجع السابق ، ص:78.

[2]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:19.

[3]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، دار الجيل، لبنان، ط(1)، 2004، ص:83.

[4]. صليبا جميل، المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتب اللبناني، لبنان، ، 1982، ص:283.

المعرفة من الله حضا لهم، وحصل لهم حينئذ من فيوضات الحق على قلوبهم ما لم يحصل عليه غيرهم ممن لم يسلكوا طريقتهم.[1]

المعرفة لدى الصوفية تكون عن طريق كشف الحجاب من الله وذلك بالقرب إليه بمكارم الأفعال والمجاهدات.

التصوف اصطلاحا:

يعني في الاصطلاح منزعا علميا وعمليا نزعت إليه الحياة الروحية الإسلامية منذ نشأتها الأولى في مصدر الإسلام فالتصوف إذن هو مرآة هذه الحياة الروحية الإسلامية التي يخضع فيها الإنسان لألوان من رياضة النفس ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق.[2]

يرجع التصوف في اصطلاح إلى أنواع من المجاهدات والرياضة لتربية النفس وتزكيتها على ما يحيط بها من شبهات عن طريق الكشف والمشاهدة.

يرى الشيخ أحمد زروق أن التصوف علم قصده إصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه. والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام.[3]

وهذا يعني أنه عبارة عن ألة تعصم عن الزلات والأخطاء وتقى الإنسان وتبعده عن الطريق الخطأ.

للصوفي والتصوف تعريفات عدة عرفها بها الصوفية أنفسهم حيث يقول أبو علي الروذباري الصوفي الكلاباذي في كتابه (**التعريف لمذهب أهل التصوف**) والقشيري في رسالته: (إن الصوفي من لبس الصوف على الصفا وأطعم الهوا ذوق الجفا وكانت الدنيا منه على القفا وسلك مناهج المصطفى)[4].

وهذا يعني إخماد النفس عما يلهي صفوها الروحي ويفسد علاقتها بالله تعالى.

---

[1]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:18.

[2]-الزوبي ممدوح، معجم الصوفي، المرجع السابق، ص:84.

[3]- عيسى عبد القادر، حقائق عن التصوف، موقع الطريقة الشاذلية http://www.chazly.com.،2017/11/25

[4]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، المرجع السابق، ص:84.

يتميز التصوف برمزية المتصوفة في تعبيرهم، فيحتاج لقارئ إلى التحليل لفهم كلامهم وإدراك مراميهم، فالتصوف حالات وجدانية صعب التعبير عنها ألفاظ عادية[1].

إن التصوف يعتمد على اللغة الرمزية التي يصعب على الشخص العادي فهمها.

نقل العطار أيضا عن الجنيد: الصوفي هو الذي سلم قلبه كقلب إبراهيم من حب الدنيا .وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله، وتسليمه إسماعيل، وحزنه حزن داوود، وفقره فقر عيسى، وصبره صبر أيوب، وشوقه شوق موسى وقت المناجاة، وإخلاصه إخلاص محمد[2].

أي بلوغ التصوف والاقتداء بما يتميز به الأنبياء والرسل من خصائص.

(2)- الرمز

في الفرنسية:symbole

في الإنجليزية:symbol

وهو مشتق من اللفظ اليوناني:sumbolon

الرمز في التعريف اللغوي هو الإيماء والإشارة والعلامة الدالة على شيء.[3]ويعني الرمز باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يعرف مفهومه إلا أهله فقط[4].

أن الرمز يصعب فهمه على عامة الناس إلا أصل الاختصاص مثل اللغة الصوفية التي لا يتقنها إلا أهلها.

والرمز تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ إنما هو إشارة بالشفتين وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم[5].

---

[1]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي، ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:24.

[2]- إحسان أبي ظهير، التصوف المنشأ والمصدر، إدارة ترجمان، باكستان، ط(1)، 1986، ص:39.

[3]- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص:620.

[4]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، المرجع السابق، ص:188.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1)، ص : 6.

الرمز هو ما أشرت إليه باليد أو العين دون الفصح أو النطق به بل يدرك لوحده.

هو الإيماء والإشارة والعلاقة وفي(علم البيان): الكتابة الخفية حيث قال الطرماح:

إذا مارآه الكاشحون ترمزوا***وحذارا وأوموا كلهم بالأنامل.[1]

فهو مثل الكناية يستخلص من صلب الكلام و لا يصرح به.

الرمز اصطلاحا:

إن مصطلح الرمز من المصطلحات التي عرفتها العلوم النظرية قديما وكان الرمز في الفلسفة الرواقية يتضمن المنطق والبلاغة ونظرية المعرفة، وأفلاطون يرى أن المسميات ترمز إلى أشياء، والحقيقة وراء المحسوسات فما نشاهده في العالم ليس سوى انعكاس لعالم الصور الخاصة، كما هو تشبيه الرمزي لأشباح على الحائط.[2]

ومنه فإن لكل دال مدلول ولكل اسم مسمى يدل عليه واكتشف منذ القديم.

ومن هذا المنطلق فإن الرمز كلمة موغلة في القديم ظهرت في الفكر اليوناني مشتقة من summboleumوتعني الحرز، وهي مؤلفة من (summ) بمعنى مع، و(boleum) بمعنى حرز وهي تعني قطعة من خرف أو إناء ضيافة دلالة على الاهتمام بالضيف، وقد اشتقت من الفعل اليوناني ألقي في الوقت نفسه، أي الجمع في حركة واحدة بين الإشارة والشيء المشار إليه، وتدور اتجاهات الرمز حول فلسفتين كبير تبين هما المحاكاة عند أرسطو ومثالية عند أفلاطون.[3]

والرمز ظهر منذ القديم مرتبط بالفكر اليوناني سواء محاكاة لأصوات الطبيعة أو تواضع بين الناس.

والرمز ما دل على غيره وله وجهان(الأول) دلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية، كدلالة الأعداد على الأشياء(الثاني) دلالة الحسية على المعاني المتصورة، كدلالة الثعلب على الخداع، والكلب على الوفاء، ومنه الرمز

---

[1]- المرجع السابق، ص:6.

[2]- بو سقطة السعيد، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة، الجزائر،(ط2)، 2008، ص:24.

[3]- المرجع نفسه ،ص: 620.

يدل على الأشياء كالحروف على الكميات الجبرية أو يمكن أن يدل على معاني مثل الصولجان الذي يدل على الملك.

(3)- المعراج:

يعني سلوك المقربين، وذلك أن سالك على الطريق كان غايته الحق بشرط فوزه منه بسعادة ما، فإن ذلك السالك صاحب معراج وسلوكه عروج.[1]

أي أن عنايته في ذلك هو بلوغ معارف غيبية والتقرب من الحق تعالى.

العروج في اللغة:(عرج، عروجا، معرجا، ارتقى...والمعراج السلم والمصعد، وورد أصل عروفي القرآن الكريم بمعنى ارتقى وصعد في مقابل نزل، أما الإسراء فلم يشر إليه التنزيل العزيز سوى مرة واحدة في الآية المعروفة[2]«**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**».[3]

نجد العروج في القرآن يدل على الارتقاء وهذا يظهر في عروج النبي عليه السلام.

المعراج الصوفي

اتخذ الصوفية عامة من المعراج النبوي نموذجا ومثالا للحب فاندفعوا في البداية. محاولين السير على قدم المحمدي، مكتفين من المعراج بالفهم كان جل ما وصلوا إليه الدخول بعمق أكبر إلى حقيقة الشخصية المحمدية بمالها من أبعاد إنسانية وتجربة فكرية. ولكن مع تقدم التجربة الصوفية كان للمتأخرين منهم إسراء ومعراج تنوعت بتنوع رتبهم ومقاماتهم كانت تختلف في طبيعتها ونوعيتها عن المعراج المحمدي.[4]

حيث كان الإسراء والمعراج النبوي هو الحافز والدافع لهؤلاء الصوفية أمثال ابن عربي.

---

[1]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، المرجع السابق، ص:288.

[2]- الحكيم سعاد، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة، لبنان ،ط(1)، 1981، ص:571.

[3]- سورة الإسراء، الآية:1-2.

[4]الحكيم سعاد، المعجم الصوفي ، المرجع السابق ، ص:574.

(4)- السفر:

من أداب الصوفية محبة السفر وصحبة الغرباء، قال سفيان الثوري :«وجدت قلبي يصلح بين مكة المكرمة والمدينة بين قوم غرباء أصحاب عباء»، وهو عبارة عن السير نحو الحق بالذكر و ابتداء هذا السفر هو الوقت الذي يكون فيه القلب حازما للتوجه نحو الله.[1]

السفر لدى الصوفية هو توجه بالذات نحو الله بغية التقرب منه وكسب رضاه.

ومنه السفر عند الصوفية هو سياحة روحية، فلا يحج الصوفي للتنزه وزيارة البلاد وطلب الأرزاق وإنما سفره للحج والجهاد، والجهاد هنا جهاد للنفس لأن في الاغتراب إحساس بتغيير عوائد النفس، فضلا عن مزيد من البعد عن الأولاد و الاحباب .لذلك يهتم الصوفية بالجهاد فيبعون أنفسهم لله مجاهدين وصابرين، وفي السفر لقاء بالصالحين، ونصرة للمظلومين، وطلب العلم، وصلة الرحم.[2]

يقصد بهذا الإنسان عليه التوجيه بذاته لله وترك كل ملذات الدنيا لبلوغ هذه الدرجة.

و هو وسيلة لمخالفة النفس، وتربية أخلاقية، والصوفية لا يغتنمون في السفر إباحة قصر الصلاة، ولا إفطار رمضان، وإن مشوا في السفر يمشون بمشي اضعفهم، وإذ جلس واحد منهم لقضاء حاجة وقفوا حتى ينتهي وإن تخلف أحدهم انتظروه.[3]

أي أنهم في السفر إخوة لا يخالف أحدهم الأخر لأنهم يوجهون أنفسهم وقلوبهم لله.

السفر اصطلاحا:

نقصد به أيضا توجه القلب إلى الحق، والأسفار أربعة: الأول هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين، وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الأسمائية. الثاني: هو السير إلى الله بالاتصاف، بصفاته والتحقق بأسمائية إلى الأفق الأعلى ونهاية الحضرة الواحدة. الثالث هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة

---

[1]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، المرجع السابق، ص:209.

[2]- الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، المرجع السابق، ص:174.

[3]- المرجع نفسه ، ص:174.

الأحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الإثنينية فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية، السفر الرابع: هو السفر بالله عن الله للتكميل. وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع.[1]

هنا وصف للطريق الصواب الذي يسلكه الصوفي لبلوغ هذه المرتبة.

كما يرى الصوفية أن السفر طلب للحلال وتجنب الحرام ويشترط المريد الصادق في السفر أن يكون مراعيا لهمه حافظا لقلبه من التشتت والطمع في الخلق.[2]

ا المسافر في القرآن الكريم هو ابن السبيل الذي أوجب الله حقه وللسفر أخلاق لابد الاقتداء بها.

ويرى الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي أن السفر هو توجه القلب إلى الحق تعالى بالذكر كما يرى أن المسافر هو الذي يسافر يفكره في المعقولات فيعبر الدنيا بما يسميه العدوة القصوى.[3]

والسفر يكون بميل أو رغبة الذات لتجاوز الملذات.

(5)- الكشف:

يستعمل الكشف في المعنويات و الحسيات، فيقال كشف الشيء كشفا بمعنى أظهره، ويقال كشف عنه الهم أي ازالة، كما يقال عند الصوفية كشف عنه الحجاب أي حجاب الظلمة، فرأى الحقائق. فهي مكاشفة لا بعين البصيرة.[4]

وهنا يكون الكشف لدى الصوفية هو رفع الحجاب و انكشاف بعض المعارف.

---

[1]- الكشاني عبد الرزاق، اصطلاحات الصوفية، تج: عبد الخال شاهين، دار المنار، مصر، ط(1)، 1992، ص:122.

[2]- الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، المرجع السابق، ص:175.

[3]- المرجع نفسه، ص:175.

[4]-الشرقاوي حسن ،معجم الألفاظ الصوفية ،المرجع السابق، ص:252.

وقد وردت آيات قرآنية بهذا المعنى لقوله تعالى:«**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**».[1]وقوله تعالى أيضا:«**أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**».[2]

ورد مصطلح الكشف في الكثير من الايات القرانية كما تاثر به الصوفية

وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقة وجودا وشهودا وقيل هو الاطلاع على المعاني الغيبية من وراء الحجاب.[3]

يدل هدا على كشف وإيضاح المستور وظهور الحقيقة لمن غاص في هذا المجال الواسع وإلمامه بما يتعلق به.

[1]- سورة الأنعام، الأية41 .

[2]- سورة النجم الآية :58.

[3]- الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، المرجع السابق، ص:346.

(6)– الخيال:

في الفرنسية: imagination

في الإنجليزية: image

في اللاتينية:image, imaginis

الخيال الشخص، والطيف، وصورة تمثال الشيء في المرأة، و ما تشابه لك في اليقظة والمنام من صور، والخيال أيضا الظن والتوهم، وهو يدل في اصطلاحا على الصورة الباقية في النفس غيبة المحسوس عنهما [1](1)

ومنه الخيال يكون إما تمثيلا ذهنيا لشيء مدرك بحاسة البصر أو غيرها من الحواس وهو ما يتذهنه الشخص.

وهو أصل الوجود والذات الذي فيه كمال ظهور المعبود وليس اعتقادنا بالحق أن له الصفات والأسماء إلا بسبب الخيال، فهو أصل العوالم بأسرها(....) فكل العوالم أصلها الخيال ولأجل ذلك فإن أصل الدنيا مقيدون بالخيال معاشهم ومعادهم.(2)

هو التمعن في الكون والخلق فإن غاب الخيال أصبح الناس نياما ويعشون في غفلة من أمرهم والحاضر مع الله هو المنتبه وعلى قدر حضورك يكون انتباهك.

(1) صليبا جميل، المعجم الصوفي، المرجع السابق، ص: 546 .

(2)الزوبي ممدوح ، معجم الصوفية ،المرجع السابق، ص: 158 .

المبحث الثاني: حقيقة التصوف عند ابن عربي

لقد كان فكر ابن عربي زاخر بالعديد من الأفكار والمفاهيم المبهمة في تاريخ الفكر الصوفي و له اهتمام بفكرة وحدة الوجود .

دخل ابن عربي ميدان التصوف وهو ابن الحادية والعشرون من عمره في سنة (580-1164م) بينما كان في الأندلس و اشتهر بالتصوف والزهد والتقشف وحرمان النفس من ملذات الحياة ليخلص الله تعالى.[1]

أي ترك كل متاع الدنيا وما فيها من أجل الذهاب بذاته إلى الله وتطهيرها عن ما يشغلها عن عبادة الخالق.

و تتلمذ على أيدي كثير من المتصوفة، ولكن سرعان ما تركهم واعتزل وخلا إلى المقابر، يقضي عندها النهار بطوله، يتصل بالأرواح جالسا على الأرض محاطا بالمقابر ومستغرقا في ذلك الساعات الطوال، حتى سمع بأحد مشايخة وهو يوسف بن خلف الكومي قد انتقده بتركه مجالس الأحياء وراح يجالس الموتى، فرد عليه إبن عربي قائلا :"لو جئتني لرأيت من أجالس".[2]

إن معرفة ابن عربي ذوقية تقوم على تحليل ما ينتاب النفس من مشاعر وظواهر خارقة ويجعل اليقين التام من شأن نور الإيمان وحده.

❖ **ابن عربي** :هو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن احمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي المكنى بابي بكر ، المشهور بمحي الدين ابن عربي والملقب بالشيخ الأكبر ولد في مرسيه (انظر الجبوري احمد نظلة، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، دار المدى، بغداد ،ط 1، 2016، ص: 122)

هو من رجال التصوف الأفذاذ الدين تركوا ثروة ضخمة من الآثار و الآراء عاش بين الفترة القرنين 6و7 هـ من ألقابه الشيخ الأكبر ولقبه الثاني سلطان العارفين ترك 251

من مصنفاته ندكر الفتوحات المكية فصوص الحكم ديوان ابن عربي ترجمان الاشواق التعريفات (انظر ابن عربي ،ترجمان الأشواق ،تحقيق : المصطاوي عبد الله، دار المعرفة ،لبنان، 2005 ،ص: 12)

[1]- بلاثيوس اسين، ابن عربي حياته ومذهبه، تر: بدوي عبد الرحمان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1965، ص:11.

[2]- المرجع نفسه، ص:18.

وهناك عدة شيوخ التقاهم ابن عربي وأراد التتلمذ على أيديهم وقد ترك مذكرات تلك اللقاءات في رسالة القدس، ولقد أكد بنفسه أنه لا يعرف مرتبة من مراتب التصوف ولا ديانة ولا طريقة لم يلتق شخصيا بأحد دعاتها أو المؤمنين بها.[1]

هذا يعني أن علمه الواسع كان نتيجة مثابرة وجهده وإطلاع واسع على المعارف والديانات والمذهب كما أنه لا يدرس شيء إلا ويرجع للأشخاص الذين اعتنقوه فهو يرجع إلى المرجع المباشر.

إن مشاهدة المحبوب هي البغية وهي أعز موجود، وأصعب مفقود وعليك أداب في المشاهدة لها علامات، مثل الثبات وعدم الالتفات والخشوع والإقناع والخضوع والارتياع.[2]

سلك ابن عربي هذا الطريق من أجل كسب رضا الله تعالى وبلوغ أعلى مراتب في التصوف وذلك بالاطلاع والبحث الواسع لدى مختلف الأطراف.

والزهد عند ابن عربي يتمثل بالخلوة، ويرى نكلسون أنه جعل التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهي الأخلاق الإلهية، ويعترض نكلسون على عد تصوف ابن عربي زهدا أو تقشفا، بل يراه اتجاه عقليا خاصا يرمي إلى إثبات شخصية الإنسان في الوجود الإلهي، ثم إن طريقة ابن عربي طريقة خاصة به بعيدة عن تقليد أي طريقة أخرى.[3]

أي أن الطريق الصوفي الذي سلكه وخطاه ابن عربي يختلف كل البعد عن الطرق الأخرى فهو تعبير عن صلب فكرة وما عاشه من تجارب في حياته من مجاهدات بدنية وجوع وعطش وذلك كل بغية التقرب إلى مولى عز وجل.

وبعد هذه التوبة الذي تميز بها ابن عربي والحياء من الله، سلك الشيخ الأكبر هذا الطريق وقد التزام بالمجاهدات البدنية من الجوع والعطش وقيام الليل، ذكر اللسان والتلاوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[4]

---

[1]- كوربان هنري، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، تح: الزاهي فريد، منشورات مرسم، الرباط ،د(س)، ص:48.

[2]- ابن عربي، لوازم الحب الإلهي، تر: الحبر فوزي، دار معد، د(م)، ط(1)، 1998، ص:32.

[3]- نيكلسون رينولد، تاريخ الأدب العباسي، تر: خلوصاي صفاء، منشورات المكتبة للأهلية، بغداد، 1968، ص:213.

[4]- قاسم محمود، دراسات في تصوف ابن عربي، كلية دار العلوم، القاهرة، 1970، ص:9.

وهنا نرى أن الشيخ الأكبر كان يقوم بالكثير من المجاهدات ابتغاء التقرب من الله تعالى والتحلي بصفات الخلفاء الراشدين والأنبياء فهم خير من مثل هذا يعدلهم وحياتهم وقوة ذكرهم والتقيد بأوامر الله.

اعتمد أبن عربي على القران الكريم والأحاديث النبوية فكان الينبوع الأول لاستقصاء فكرة في وحدة الوجود منهما، واعتماد هما لتقوية وتأكيد ما يطرحه إلى جانب القرآن والأحاديث، اتجه صوب بالمتصوفة المسلمين فأخذ منهم واعتمد عليهم في وضع نظرية الاتحاد والفناء واتجاهه صوب الحب الإلهي، ووقف على أفكار الحسين، بن منصور الحلاج(309هـ) في النور محمدي والإله الإنساني مبلورا نظريته في الإنسان الكامل[1].

استقى ابن عربي فكره من القرآن والأحاديث وأخذ من بعض المتصوفة أمثال الحلاج لتكوين صرحه الفكري الصوفي.

أخذ ابن عربي وإن لم يكن بصورة مباشرة منهج الحلاج نحو وحدة الأديان فكانت نظرية ابن عربي في وحدة الأديان ركنا ركينا من مذهبه وحدة الوجود.[2]

فلقد أخذ ابن عربي وإن لم يكن بصفة مباشرة لكنه تأثر بالحلاج في وحدة الوجود.

يعد ابن عربي من المتصوفة المتفلسفين القائلين بوحدة الوجود ورأس مدرسة خاصة، هي مدرسة وحدة الوجود المرسلة، بل أكثر من ذلك يعتبر الواضع الأساسي لدعائم هذا المذهب، مفصل لمعانيه ومراميه،

جاء مذهبه هذا منبثا بين ثنايا كتبه خاصة "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم".[3]

❖ **وحدة الوجود**: الوحدة: يفتح الواو الانفراد. ووحدة الشيء جعله واحدا.

الوجود: الثبوت والحصول مصدر من وجد الشيء (أنظر الجبوري أحمد نظلة، سلاطين المتصوفة ،المرجع السابق ، ص:27.)

[1]- الجبوري أحمد نظلة، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، المرجع السابق، ص:124.

[2]- المرجع نفسه، ص:125.

[3]- الإدريسي محمد العدلوني، ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، دار الثقافة، المغرب ،ط(2)، 2004، ص:12.

رغم أن أخذ واستقى من بعض الفلاسفة إلا أنه الواضع الأساسي بمبادئ وأسس هذا المذهب المتمثل في وحدة الوجود وذلك لشدة وعمق فكرة الواسع.

إن تصوف ابن عربي الفلسفي بقضاياه المتشابكة والمتشعبة، يتجه إلى بيان مشكلة أساسية شغلت فكره وجند كل جهوده من أجل توضيحها. فهو يعترف بغموضها وتعقد قضاياها في صورة مذهب فلسفي متماسك البنية متناسق المباحث، باعتبارها العلم الحق والهدف المنشود من كل علم، وهي:«...أنه ما في الوجود إلا الله وتحين وإن كنا موجودين فإنما كان وجود نابه فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق....».[1]

حيث يعتبر هذا المذهب غامض فهو من فسره كونه يعتبر أنه ما في الوجود إلا الله تعالى والعالم ما هو إلا تحلى له.

يرى ابن عربي أن ثمة وجودا واحدا فقط هو الله عز و جل وما الكثرة البادية في العالم إلا وهم فالوجود الحق هو وجوده سبحانه وجودا واحد لا كثرة فيه.[2]

وهذا يعني أنه لا وجود في الحقيقة إلا الله وكل شيء غيره هو تجليا منه أي يقر بالوجود المطلق لله.

كما يعتبر أبن عربي هو الذي هذب القول في هذا المذهب في الإسلام، إذ لم يعرف المذهب في الفكر الصوفي من قبل بالصورة التي أصبح عليها لديه. وعليه فوحدة الوجود مذهب صوفي فلسفي متكامل في طبيعة الوجود الذي أقر به ابن عربي لأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجوده سبحانه، وكل ما سوى الله فهو تجليات ومظاهر وظلال له عز وجل لا حقيقة لها في الوجود إلا به سبحانه.[3]

وهذا المذهب يقر أن لا شيء في الوجود إلا الله وكل شيء غيره هو تجليا له.

إن التجربة الصوفية للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي تقوم على المزج بين التصوف والفلسفة بين الحقيقة والحكمة، لتحقيق وحدة الوجود كمضمون حقيقي لها، عبر الإقرار بأن لا موجود في الحقيقة إلا الله

---

[1]- المرجع السابق ، ص:12.

[2]- الجبوري أحمد نظلة، سلاطين المتصوفة، المرجع السابق، ص:123.

[3]-المرجع نفسه ، ص:123.

سبحانه وتعالى. فتجربته إذن تعطي الانطباع عنها كونها تجربة وحدة في حقيقة الأمر. وحدة تنكر تارة بأن الموجودات في الحقيقة شيء واحد وجودها الله سبحانه. ووجودها الظاهر الزائل هو العالم هدفها بذلك الاتحاد مع الله تعالى، علما أن الاتحاد بين الخالق والمخلوق لا يعنيان لديه تلاشي الموجود شخصيا، بل يعني التحقق من وجودنا منذ البداية منوط بالله.[1]

وهنا تأكيد مطلق على وحدة الوجود وأن الله هو أصل كل الوجود بما فيه وهو اتحاد روحاني ناشئ عن الحب الإلهي.

يقضي مذهبه في وحدة الوجود عدم القول بالممكن في مقابل الواجب بمعنى الواجب بمعنى الوجود المتغير الحادث، والذي إذ نظر إليه من حيث هو كان معدما، وذلك على الرغم مما يسميه بالأعيان الثابتة لأنها ضرورية بمعنى أنها موجودات بالقوة لابد لها من أن توجد بالفعل أو ما يسمى بالواجب الوجود.[2]

يعني لابد القول والإقرار بالواجب الوجود وهو الله من القول بالممكن فهو متغير مقارنة بالواجب.

وبهذا يقول ابن عربي بالضروري والممتنع، وهي في هذا الصدد متسق مع منطق مذهبه، لأنه إذا اعتبر العالم ممكن ترتب عليه أن العالم وجد في زمان وأنه غير موجوده ، وهذا مخالف لمذهبه الذي يرى فيه أن الوجود واحد.

أصدق قولا حسب ابن عربي هو القول بالواجب وهو الوجود الأحق. [3]

يتحدث ابن عربي عن الحكمة من خلق الخلق فيرى أن الحق شاء أن يظهر الخلق عامة والإنسان خاصة ليعرف وليرى نفسه في صورة تتجلى فيها صفاته وأسماؤه أو بعبارة أخرى شاء الحق أن يرى تعينات أسماؤه

---

[1]- المرجع السابق ، ص:125.

[2]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:54.

[3]- المرجع نفسه، ص:55.

في مرآة العالم أو الوجود الخارجي فالحقيقة الوجودية عند ابن عربي واحدة والتفرقة بين الذات والممكنات تفرقة اعتبارية.[1]

أي أن الله أراد أن يرى تجليات خلقه لهذا أوجد الخلق والعقل القاصر للإنسان هو الذي لا يستطيع إدراك هذه الوحدة.

اعتمد ابن عربي في مصنفاته بوجه عام على الأسلوب الرمزي الشديد الخفاء ليضفي على مذهبه الطابع الغامض السري بوصفه غير ميسور للعامة بل هو من شأن الخاصة فقط، إن طابع الغموض هذا يبعد عنه تعصب الفقهاء والعلماء الذين وقفوا وراء كل من دعا إلى وحدة، معتقدين بخروجهم عن الدين وهذا هو السبب الذي أدى به إلى الأخذ بالأسلوب الرمزي من جانب، ومن جانب آخر تنقله بين البلاد مما يعكس إحداثه لثورة فكرية كثرت فيما المناقشات والمعارك الكلامية واتخاذ الفقهاء المتعينة منه.[2]

استعمل ابن عربي هذا الأسلوب الرمزي وذلك لكي لا يتيسر لأي شخص فهمه من أجل إعطائه طابع خفي شديد العمق والوزن.

فالوجود كله حسب ابن عربي واحد المخلوقات عين وجود الخالق والعقل القاصر هو الذي لا يدرك أن لا فرق بين الوجودين ، وهذا ما وضحه في الفتوحات المكية فقال:

فلا تفر ولا تركن إلى طلب فكل شيء تراه ذلك الله.[3]

يعتمد الشيخ الأكبر على فكرة أساسية هي وجود الله وهي بذلك عين وجود كل شيء أي هو أساس كل شيء.

---

[1]-هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي انموذجا، المرجع السابق ، ص:55.

[2]- الجبوري أحمد نظلة، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، المرجع السابق، ص:126.

[3]- ابن عربي، تنزيل الأملاك في حركات الأفلاك، تح: الجراح نواف، دار صادر، بيروت، د(س)، ص:11.

والصوفية القائلين بوحدة الوجود ينكرون ثنائية الوجود يقول عبد الغنى النابلسي:

ليس في وجود كما قال إثنان حق وخلق إذ هما شيآن

هذا المقال عليه قبح عقيدة عند المحقق ظاهر البطلان[1]

ويدعون الصوفية القائلون بوحدة الوجود إنكار التعدد كون الله سبحانه وتعالى هو أصل كل شيء.

ويدعون الصوفية القائلين بالوحدة أن الله تعالى هو الذي له الوجود وحده، أما الكائنات والمخلوقات فهي معدومة أزلا وأبدا، ويرون أن عقول المحجوبين تنوهم وتتخيل أن المخلوقات هو جودة.[2]

أي أن المجودات والمخلوقات في هذا المذهب هي تجلي من تجليات الخالق.

لا يعني الصوفية من أهل الوحدة بهذا القول إنكار الأشياء المحسوسة وجحد الكائنات المشهودة، كالبحار، الجبال، الأشجار، وإنما مقصدهم إنكار كونها خلقا لاعتقادهم أن الكائنات كلها هي الله تعالى.[3]

وهنا عرض لنا رأي الصوفية في وحدة الوجود و اعتبار أن الله هو مصدر كل شيء وهو مظهر من مظاهره فالعارف من يرى الحق في كل شيء ويراه هو عين كل شيء.

كان تصوف ابن عربي سواء منه الجانب الأخلاقي الزهدي التقشفي، أو الجانب الفلسفي الإشراقي، أثر واضح على رواد كبار من بين متصوفة بالمغرب والمشرق، مما جعل مذهبه يعيش قويا في الأعوام التي تلت وفاته خاصة في أقصى المشرق من بلاد الإسلام، وكذلك مكن لآرائه أن تذاع ذيوعا كبيرا وأن يجتمع حولها جماعات كان دورها الاجتماعي والثقافي والسياسي.[4]

شاع مذهب ابن عربي في كل أرجاء البلاد الإسلامية بعد وفاته كما أخذت عليه أيضا العديد من الانتقادات.

---

[1]- العاجمي دغش شبيب، ابن عربي عقيدته وموقف علماء مسلمين منه من ق 3إلى 13، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط(1)، 2011، ص:27.

[2]-العاجمي دغش شبيب، ابن عربي عقيدته وموقف العلماء المسلمين منه ، ص:27.

[3]- المرجع نفسه، ص:27.

[4]- الإدريسي محمود العدلوني، ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، المرجع السابق، ص:81.

وهنا يذكر ابن عربي أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر نفسه بالألف، وذكر خلقه بالهواء للدلالة على أن الله عز وجل خلق الحروف أولا ثم خلق بعده آدم فجرت الحروف على لسانه، وكلاهما تحققا في الوجود بالكلمة الناطقة من قبله سبحانه وهي(**كن**). وعلى وفق رأيه هذا فسر خلق آدم على صورته في الحديث (خلق الله آدم على صورته) بمعنى على صورة اسم النبي صلى الله عليه وسلم، أما الخلق والعالم فيتحققان من حروف اسم الجلالة(الله).[1]

أي أن الله تعالى هو الواجب الوجود وهو أصل الكون فينطقه الشيء كن فيكون أي هو أساس الخلق.

[1]- الجبوري أحمد نظلة، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة، المرجع السابق، ص:132.

المبحث الثالث: الأحوال والمقامات

إن للتصوف مراحل يجتازها الداخل فيه أومن يطمح إلى أن يكون ضمن تشكيلة وهذه المراحل تتخلص من ثلاث هي:

أولا: غاية دينية

ثانيا: حالة نفسية ينكشف فيها للصوفي تحقق هذه الغاية

ثالثا: طريقة خاصة يسلكها لهي تورثه، وتنتج له هذه الحالة النفسية

الطريقة فهي رياضة النفس و مجاهدتها، وقمع ملذاتها ومحاسبة الضمير، وتصفية القلب من كل ما سوى الله. وأما الحالة النفسية فهي التي يسميها الصوفية حالة الجذب، أو حالة الإشراف.[1]

وتعتبر هذه الخصائص بمثابة الأرضية أو المسلك للراغب في الخوض في هذا الطريق.

أما الغاية التي يسعى إليها جميع الصوفية فهي الحق أي الله، ولذلك يسمون أنفسهم أهل الحق أو أهل الله، فإذا وصل الصوفي إلى غايته كان دائم الحضور مع الله، دائم الشهود له، يدرك الله في كل شيء وبسمعه في كل شيء.[2]

هنا نرى دعوة صريحة إلى شدة التعلق بالله تعالى وضرورة التمسك بما أمر والابتعاد على كل ما نص الله تعالى عنه من كبائر والصوفي في رحلته هذا قام بالكثير من المجاهدات والرياضة الروحية ليبلغ هذه المرتبة وقد أجمع المتصوفة على تسمية الحياة الروحية سفرا، والصوفي مسافرا أو سالكا.

---

[1]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:29.

[2]- المرجع نفسه ، ص30.

الأحوال والمقامات:

وقليل من يبلغ هذه الطريق الطويلة الوعرة المسالك، ففيها مقامات واحوال.

والسالك كما قلنا في مجاهدته بحاجة ماسة إلى شيخ يرشده ويعينه.[1]لذا تنحصر الرحلة الصوفية في أمور أربعة هي: المقامات، الأحوال، المجاهدات، الشيخ المرشد.[2]

ومنه فإن الصوفي في هذا الطريق يسلك الكثير من المسالك والمجاهدات من أجل النيل و الظفور بغايته التي هي رضا الله عز وجل.

أولا: المقامات

يعني الصوفية بالمقام قيام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من عبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل. ويقصد بالمقام هو كل ما يفعله المرء من أجل التقرب من الله عز وجل من ابتعاد عن ملذات.[3]

يقصد بذلك كالآداب التي يفعلها الصوفي بجهد ومشقة بغية مرضاة الله.

عرف القشيري المقام قائلا: ما يتحقق به العبد بمنازلته(أي بنزوله فيه، وبما اكتسبه له) من أداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به يضرب تطلب مقاساة تكلف.[4]

فالصوفي يتحمل كل المشقات والمتاعب وكل ما يتعرض له وذلك بهدف الغاية القصوى التي سوف ينالها من هذا.

والمقامات عند الطوسي هي مثل: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، الرضا، التوكل وغير ذلك.[5]

فلقد تحدث في السراج الطوسي ان المقامات اولها التوبة .

---

[1]-هدي فاطمة الزهراء ،جمالية الرمز في الشعر الصوفي ، المرجع السابق ،ص:31.

[2]- المرجع نفسه، ص:31.

[3]- السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ، تح: محمود عبد الحليم، دار الكتب الحديثة ، مصر، 1960، ص:70.

[4]- القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية ،تح : محمود عبد الحليم دار المعارف ، القاهرة، 1330هـ، ص:191.

[5]- السراج الطوسي، اللمع في التصوف، المصدر السابق، ص:64.

1التوبة:

أما مقام التوبة فهو أول منزلة من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين المنقطعين إلى الله، وتحديد التوبة. انتباه القلب من رقدة الغفلة، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة، أو هو الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه وتتمثل التوبة في شكل هاتف يزور في الصحو أو في مقام مصحوبا برؤية وجه جميل أو صوت رخيم والشعر يسجل حركة النفس عندما تلوح الإشراقة عن طريق التوبة الصادقة حين يتطهر الظاهر والباطن ويمتلئ القلب بحب الله.[1]

والتوبة مقام يرشد إلى تطهير وتوجه السالك إلى الله عز وجل و الابتعاد عن المذمومات وانتباه القلب عن كل المنكرات.

فأما لسان أهل المعرفة والواجدين والخاصة في معنى التوبة قيل : التوبة أن تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى.[2]

والتوبة لدى الصوفي تقضي ضرورة الإخلاص و الامتثال لأوامر الله وتقضي الهداية عن المعاصي والبعد عنها والتائب يتوب عن الزلل وعن الكبائر وذلك بتصفية النفس عن البغضاء.

2الورع:

يرى الشيخ أن مقام الورع مقام شريف وقال النبي صلى الله عليه وسلم :«ملاك دينكم الورع». وأهل الورع على ثلاث طبقات فمنهم من تورع عن الشبهات التي اشتبهت عليه وهي ما بين الحرام البين والحلال البين، ومالا يقطع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق، فيكون بذلك تورع عنها، ومنهم من يتورع عما

---

[1]– القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، المصدر السابق، ص:253.

[2]–السراج الطوسي، اللمع، المصدر السابق ، ص:68.

يقف عنه قلبه ويحيك عند تناولهما وهذا لا يعرفه إلا أرباب القلوب ومحققون، وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله: الورع أن تتبرأ من مقام الخلق حتى لا يكون لأحد قبلك مظلمة و لا دعوة ولا طلبة.[1]

وهنا يقصد بذلك ترك المحرمات وابتعاد عنها خوفا من الوقوع فيها.

ومقام الورع هنا فهو ترك الشبهات والورع اجتناب الشبهات خوفا من الورع في المحرمات ومنا ثمة فالورع أن يمتنع المريد عن كل حرام ويتوقف عن كل شبهة إذا تشابه الأمر عليه ولم يستطيع أحد أن ينقذه من حيرته التفت قلبه.[2]

أي ترك المحرمات وما يمكن أن يقصد المرء من سلوكيات لكي لا يقع في الخطأ في أمور تفسد علاقاته بربه و اجتناب كل أنواع الشبهات فالصوفي شديد التعلق بربه وورع في أفعاله.

3. الزهد:

أما مقام الزهد، معناه ارتفاع الإنسان بنفسه فوق شهواتها، وهذا معناه أن يتحرر تماما من كل ما يعيق حريته، إن الصوفي إذا لم يحكم أساس في الزهد لا يصح له شيء مما بعده، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير و طاعة .وحسبنا أن نشير إلى بعض الأحاديث النبوية التي تحث على الزهد في الدنيا.[3]

في قوله عليه السلام «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[4].

أي يقر هنا بحسن السلوك والتعامل مع الناس لأن الدنيا لابد لها من الفناء.

---

[1]- المصدر السابق، ص:71.

[2]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:32.

[3]- المرجع السابق، ص:33.

[4]- سنن الترمذي، أبي هريرة، حديث رقم :2246.

ولم يرد الزهد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى:«**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**[1]

ويتميز الزهد بالتفوق وراحة النفس من هموم الغد وهو عند المتصوفة معبرا إلى الحب المطلق.

عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنه عن الرسول عليه السلام قال :«اتقى الله حيثما كنت و اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».[2]

و أي لابد من تجاوز السيئة بالحسنة ومعاملة بمكارم الأخلاق مثل ما كان لدى الأنبياء.

4.الفقر:

لا يعني الفقر الصوفي انعدام الملكية فقط بل يتضمن انعدام الرغبة في الأمور الدنيوية ونقص اليد من المشاركة في الملكيات الدنيوية والرغبة في الله على أنه الغاية الوحيدة المرغوب فيها.[3]

ومقام الفقر يعني ترك والتخلي عن كل أملاك الدنيا للفوز بالآخرة.

والفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزينة المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن الطيبين، وسجن المذنبين، ومكفر السيئات، ومعظم الحسنات، ورافع الدارجات ومبلغ الغايات، والفقر شعار الصالحين.[4]

أي الفقر يقي الإنسان ويعصم من الأخطاء والكبائر ويصفي النفس فهو سلوك الصالحين.

.5الصبر:

أما مقام الصبر، فهو من المقامات التي تمكن السالك من أن يتحمل جميع ما تحلى به من مصائب ونكبات وماس لأنها صادرة عن مشيئة الله. يرى الطوسي أن الصبار أعلى درجات الصابرين وهمنا يقول الشبلي:

---

[1] سورة يوسف، الآية: 20

[2] – الألباني محمد نصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، رياضي، ط1)، 2000، ص:226.

[3] – هدي فاطمة الزهراء جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:34.

[4] – السراج الطوسي، اللمع في التصوف، المصدر السابق، ص:75.

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا[1]

وهو يعني السكوت وتحمل كل شيء من أجل بلوغ الرضا لأن صبر على بلائه يتبعه نيل أعلى المراتب.

ومقام الصبر مذكور في القرآن في قوله تعالى:«**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**.[2]وفي قوله«**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**" [3]

والله سبحانه وتعالى حثنا على ضرورة الصبر في كتابة العزيز لأنه مقام شريف.

6. التوكل:

أما التوكل هو استسلام السالك استسلاما لمشيئة الله قال التستري:

«أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يد الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف يشاء لا يكون حركة و لا تدبير».[4]

وهو توجه نحو الله عز وجل بكل فكرة لأنه هو المشرع الأول الذي لابد أن نستند إليه والتوكل يقضي الرضا.

7.الرضا:

قال الطوسي الرضا مقام شريف، الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وهو أن يكون قلب السيد ماكنا تحت حكم الله عز وجل وسئل الجنيد رحمه الله عن الرضا فقال: الرضا رفع الاختيار[5]

أي الرضا بما أعطاك الله تعالى والقبول بكل ما يرزقك به.

وقالت رابعة العدوية إن العبد يكون راضيا إذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة.

---

[1]- هدي فاطمة الزهراء، ، جمالية الرمز في الشعر الصوفي في ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص: 34.

[2]- سورة النحل، الآية: 127.

[3] - سورة البقرة الآية : 155.

يرى الغزالي في الرضا أنه ثمرة من ثمار المحبة وهو أعلى مقامات المقربين،[1]والرضا مذكور في قوله تعالى:«**رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**».[2]

أي رضى العبد بما أعطاه الله سواء كان ذلك مصيبة أو خير كان والرضا يولد في النفس شعور بالراحة والطمأنينة.

ثانيا: الأحوال:

للأحوال عند الصوفية معاني ترد إلى القلب، من غير تعمد منهم لا اجتناب ولا اكتساب، مثل: الطرب، الحزن، البسط، الشوق وصاحب الحال مترف عن حاله، ينتقل من حال إلى حال، إذا «الأحوال كاسمها يعني أنها كما تحل بالقلب، نزول في الوقت».[3]

أي الأحوال ذكر في القلب خفي للدعاء الله في السر.

كما يرى الشيخ الطوسي رحمه الله الأحوال هي ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار وقد حكى عن الجنيد أنه قال: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم.[4]

والأحوال ليست كمقامات بالمجاهدات والرياضات إنما ما تحل بالقلوب.

وقد ذكر الطوسي أن الأحوال هي: المراقبة، القرب، المحية، الخوف، الرجاء، الشوق، الأنس الطمأنينة، المشاهدة، اليقين وغيرهم.[5]

وهذه الأحوال تحت على المعاملة بالأحاسيس والمشاعر النابعة عن القلب النقي الصافي

---

[1]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:36.

[2]- سورة المائدة، الآية :119.

[3]-هدي فاطمة الزهراء ،جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي انموذجا، ص:36.

[4]- السراج الطوسي، اللمع في التصوف، المصدر السابق، ص:66.

[5]-المصدر نفسه، ص:66.

1.المراقبة:

يرى الطوسي أن المراقبة حال شريف لقوله تعالى :«**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا**».[1]وأهل المراقبة على ثلاث أحوال مراقبتهم فأما ما قال: الحسن بن علي فهذا حال الابتداء في المراقبة وأما الحال الثاني في المراقبة كما حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله أنه قال: خيركم من راقب الحق في فناء ما دون الحق وتابع المصطفى، وأما الحال الثالث فحال الكبراء من أهم المراقبة، فإنهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها.[2]

أي أن المراقبة تجعل العبد يشعر بقرب الله تعالى منهم لذلك يمتنع عن الفحشاء وذلك ليصون نفسه من الخطأ.

2. القرب:

والمراقبة تجعل السالك يشعر بأن الله قريب منه، وبقربه من الله، قال الجنيد :«إن الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب عباده منه».[3]

فالقرب يفتح على العبد أبواب كثيرة تسهل عليه طريقة وتبعد عنه كل العراقيل.

. 3. المحبة:

إن الصوفية يعتبرون أنه ليس من كائن إلا الله، فالله هو الجمال السرمدي وليس من سبيل إلى الله إلا الحب، فالحب سبيل جمال الله، والعالم خلق ليقدم آيات الحب إلى الله. وذلك هو سر الحياة.[4]

فالحب الصوفي حب صافي من أي مقابل فهم لا يحبون الله خوفا من ناره أو طمعا في حنبه بل يحبونه لذاته ولأنه أهل للحب.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية: 52.

[2]- السراج الطوسي، اللمع في التصوف، المصدر السابق، ص:83.

[3]- المصدر نفسه، ص:85.

[4]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:37.

فلقد حطمت رابعة العدوية الناي الخشبي التي حملته من قبل في حياته الصاخية الدنيوية، وكسرت أو تارة لتعود إلى الناي الرباني، وأنشدت على أوتاره أنشودة الحب الإلهي:

أحبك حبين حبك الهوى وحبا لأنك أهل لذلك[1]

فعاشقة الحب الإلهي تركت كل ملذات الدنيا وما فيها وذلك ابتغاء القرب من الله وأحبته لذاته فقط.

4 . الخوف:

الخوف مقام الإلهي له اسم الله لأنه متناقض الحكم فإنه يخاف من الحجاب ويخاف من رفع الحجاب أما خوفه من الحجاب فلما فيه من جهل بما هو حجاب عنه أما خوفه من رفع الحجاب عنه فلذهاب عينه عند رفعه فنزول الفائدة والالتذاذ بالجمال المطلق لقوله تعالى :«**كلا إنهم عن ربهم يومئذ محجوبين**».[2]لقوله الشيخ الأكبر في ذلك:

زف الله يا مسكين إن كنت مؤمنا إذا جاء سلطان المنازع في الأمر[3]

فالخوف إذن هو رجوع إلى الله وليس تكريه بل تقرب من الله وترك محرمات.

5 . الرجاء:

والرجاء هو تعلق النفس بالمحبوب الذي يسعى المتصوفة في الوصول إليه، إنه المحبة الواثقة.[4]ورد الرجاء في قوله تعالى :«**مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**».(5)

إن حسب الكتاب العزيز إن لابد من تصفية النية ويكون ذلك بالدعاء والمحبة.

---

[1]- النشار علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج3، دار المعارف، القاهرة، ط(2)، 1980، ص:198.

[2]- سورة المطففين ، الآية :15.

[3]-ابن عربي، الفتوحات المكية، الكتب العلمية،ج1، تح، شمس الدين أحمد، لبنان، 2006، ص:276.

[4]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:38.

[5]- سورة العنكبوت، الآية: 05.

6الشوق:

وحركة الشوق إلى الله بالمحبة المنبعثة من مطالعة تجليات الصفات وهو استحاض الوجه الباقي بانكشاف سبحات الجلال، و استشراق نور الذات على وجوه الجمال والكمال.[1]

وحال الشوق هو محبة واستشراق لرئيسه ونيل رضاه والفوز بمكارم الأخلاق.

7الأنس:

أما عن الأنس فهو الاسترواح يروح القرب، والأنس بالشواهد التي تشهد بأنه قد تقدم في السلوك والتقرب.[2]

والأنس هو معناه الاعتماد عليه والسكون إليه والاستعانة به.

8الطمأنينة:

إن تحقق الصوفي بالطمأنينة يضفي عليه قوة نفسية، ويجعل الأخرون يأنسون به، يقول التستري :«إذا سكن قلب العبد إلى مولاه، و اطمئن إليه ، قويت حال العبد، فإذا قويت[3] أنس العبد بكل شيء»

وهنا إذا كثر الاطمئنان بالله وأحسس العبد براحة استطاع العبد أن يألف ويتعايش مع كل شيء.

أما عن الطمأنينة فقد قال الله تعالى :«**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنّ ُقُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنّ ُالْقُلُوبُ**».[4]

والطمأنينة تمنح العبد الارتياح والراحة وبذكر الله يشعر الإنسان برضا يسكن قلبه.

---

(1)- الكشاني عبد الرزاق، واصطلاحات الصوفية، المرجع السابق، ص:122.

(2)- المرجع نفسه ، ص:276 .

(3)-هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:40.

(4)- سورة الرعد، الآية: 28.

.9 . المشاهدة:

فهي الوصل بين رؤية العيان، ورؤية القلب، والمشاهدة "حال رفيعة وهي من لوائح زيادات حقائق الإيمان"[1]

أما المشاهدة حال رفيع وتكون بحضور القلب

يعتبر الطوسي أن أهل المشاهدة على ثلاث أوجه أعلاها "مشاهدة قلوب العارفين التي شاهدت الله مشاهدة تثبيت. فمشاهدوه بكل شيء وشاهدا وكل الكائنات به.[2]

وأعلى مراتب المشاهدة لدى الصوفي هي مشاهدة الله والامتثال له.

10 اليقين:

اليقين أصل جميع الأحوال التي إليه تنتهي، ونهاية اليقين الاستبشار وحلاوة المفاجأة وصفاء النظر إلى الله تعالى بمشاهدة القلوب بحقائق الإيمان.[3]

ومنه نستنتج أن الصوفي خلال رحلته تعترضه الكثير من العراقيل والمصاعب إلا أنه يجتازها بذكر الله و يغمر قلبه شعور أو رغبة ملحة نحو تذوق الإيمان بالوجدان لأن الصوفي في سفره الروحي دائم الصعود والترقي.

---

[1]- هدي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا، المرجع السابق، ص:40.

[2]- السراج الطوسي، اللمع في التصوف، المصدر السابق، ص:101.

[3]-المصدر نفسه ، ص:40.

الفصل الثاني : البناء الرمزي عند ابن عربي

المبحث الأول :اللغة في الكتابة الصوفية الاكبرية .

المبحث الثاني :رمزية الحروف عند ابن عربي .

المبحث الثالث :الخيال والكشف الصوفي .

المبحث الأول: اللغة في الكتابة الصوفية الأكبرية

تحتل اللغة في التصوف مكانًا بارزًا وهامًا جدًا بحيث تأخذ أشكالاً متعددة، بدءًا بالإشارة وبحركة الجسد من خلال وضع الوقوف والجلوس، النوم اليقظة، الحضور والغياب، السكر والصحو، الموت والحياة وحتى نظرات العيون لها دور كبير من ذلك، كما أن الخيال والاتصال الروحي له دور كبير في ذلك، ثم قد يكون التعبير اللغوي رمزًا بالنطق أو السكوت بحروف وبكلمات، أي أن اللغة تختلف من متصوف إلى آخر حسب مقاماتهم ودرجاتهم العرفانية.

إن لكل آية في القرآن الكريم ظاهر وباطن فإذا حصل من فهم الكلام المنتظم على تفصيله ما شاء الله ترقى الفاهم منه إلى تفهم الكلام المفردات على مقدار ما يجمعه علم اللغة من ذلك التفصيل، ويفرده من جوامعه، وهو علم الأسماء أي: علم الاشتقاق، ثم إلى فهم الحروف بماهي عليه، فعند ذلك ينتهي فهمه باطنًا إلى مبدأ حفظه ظاهرًا، ويفتح له باب الفتح المبين الذي خص به آل محمد صلى عليه وسلم، وتتبع الأخبار والاقتداء بالرسوم والآثار على حكم الإيمان والتصديق.[1]

فإن الشيخ إذا كان له حظ من الكشف استطاع أن يعرف أسرار هذا العلم الإلهي الذي يعتبر بالنسبة للصوفية أنه للخاصة فقط وليس العامة لأنه مكنون إلهي ويأخذ الرمز المعبر به لدى الصوفية الأشكال مختلفة من الحيوان إلى النبات إلى الجماد ويعتمد الأفلاك والأشكال الهندسية والأعداد ويعبر عنها جميعًا باللغة.

ثم إن علم الحروف وفهم مواقعها لما كان من خواص محمد صلى الله عليه وسلم، فكشف عوالمها مما يختص به أمة محمد، لأن ثمرات الأعمال لكل أمة لا يزيد على مضمون نبيها، وكل نبي له رتبة في العلم تتبعه أمته على حظ القدوة والأسوة.[2]

---

[1] - ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، تح، عبد الفتاح سعيد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط(1)2006، ص:42.

[2] - المصدر نفسه، ص:42.

اللغة ترتبط ارتباط وثيقا بالأنبياء والرسل فترتبط أولاً بأدم لأنه أول من تعلمها وترتبط بالنبي عيسى عليه السلام ولها صلة بالوجود وبالأمر الإلهي "كن" إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه سلم ثم أخذها قومه عنه فاللغة هي علم عميق وواسع سعة البحر لا يعرف رموزها ودلالاتها إلا من خاض فيها.

للحروف معاني في الفهم وأيضا في الكشف، فلها رتب في التعالي والتنزيل منها نشأت الأعداد وعن استبطان بعضها في بعض ظهر التضعيف في الأزواج وفي الأفراد.[1]

حيث يقول ابن عربي عن علم الحروف:

إن الحروف أئمة الألفاظ شهدت بذلك ألسن الحفاظ

دارت بها الأفلاك في ملكوته بين النيام الخرس والأيقاظ

ألحظتها الأسماء في مكنونها فبدت تعز لذلك الإلحاظ

وتقول لولا فيض جودي ما بدت عند الكلام حقائق الألفاظ[2]

إن أساس اللغة هي الحروف المكونة للألفاظ والعبارات والجمل والحرف يتنوع ويتعدد كما يركب ويفكك ليشكل اللسان الذي يترجم عن القلب حيث يعد اللسان كمثل رسل الله إلى البشر كما أودع الله في القلب أسرار الهية ومكنه من التعبير عن مضمونه.

إن الحروف حسب ابن عربي أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون، وفيهم رسل من جنسهم ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف، وعالم الحروف أفصح العالم لسانا وأوضحه بيانا، وهم على أقسام كأقسام العالم المعروف، فمنهم عالم الجبروت وتسميه عالم العظمة، ومنهم عالم الأعلى وهو عالم الملكوت.[3]

---

[1]- ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، المصدر السابق ، ص:44.

[2]- ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، تح: شمس الدين أحمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 2008، ص:85.

[3]- المصدر نفسه، ص:95.

ولا يصل أحد إلى هذه المرتبة من العلم إلا من كان على صلة كبيرة بالله تعالى وجاهد في الدنيا للوصول إلى أعلى المراتب فلقد خص تعالى لخاصة الخاصة وهم الأنبياء والأولياء وهم من علموه للناس.

السالك في مرتبة سلوكه تائب ومنيب، والسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها، لبقاء صفات نفسه عليه، فله الأعمال القالبية دون خلاصة الأعمال القلبية، فإذا أدرك الله بالجذبة، وجد روح الحال وخرج من ضيق المجاهدة والمكابدة إلى متسع المساهلة والمشاهدة، وأونس بنفحات القربات وفتح له باب المنجاة.[1] فإن الشيخ إذا تقيد بأوامر الله تعالى ووجه قلبه وفؤاده إلى سبيل الله تعالى ما خاب وتفتح له أبواب الكشف والمشاهدة ويحصل على قوالب الكلمات وصار أهلا للمشيخة.

والشيخ هو الهادي والسائر إلى الله بالله، في نداء: يا عبادي وهو الشهيد على الخلق والمحقق للحق في عالم الحق، حتى أخرج له الألف والياء، قطف السين من شجرة اليقين، وهي شجرة الحروف التي تثمر بالصفوف وتنحرف إلى الكشوف فإذا وصل الياء إلى السين ظهر سلطان السكين وخرج من قراب الدين إلى ذات اليقين. [2].

بقوله تعالى: « **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ».[3]

إن الله تعالى خص علم الحروف فقط إلى خاصة الخاصة اللذين انفتح لهم باب الكشف والمشاهدة وانفتح لهم باب الغيب والخلوة لكونهم جاهدوا في الدنيا لبلوغ هذه المرتبة.

أن ما دونه الشيخ الاكبر من علم الحروف في مؤلفاته موجه لأهل الإشارة، أي للخاصة لا للعامة ثم إن ما أذاعه من موضوعات هذا العلم ما هو الا لباب بمقارنة مع ما يحتفظ به من أسرار، فكل ما كتبه هو

---

[1]- ابن عربي، كتاب الشاهد ، رسائل ابن عربي، تح: عباس محمد قاسم، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات، ط(1)، 1998، ص:154.

[2]- المصدر نفسه ، ص:152.

[3]- سورة الأنفال، الآية:12.

إشارات ولمع، ليس لأن عقول الناس قاصرة، بل لأن المعاني لا تستوعب تلك الحقائق بحكم أنها حقائق مطلقة من العلم الإلهي المطلق الذي لا ينفذ بنفاذ الكلمات. وأن أسراره كبيرة لو تكلمنا عنها لكلت اليمين وحفي القلم وجف المداد وضاقت القراطيس.[1]

فعلم الحروف ليس له أي نهاية فهو بحر واسع من الكلمات والمعاني ولكل حرف وكلمة مغزى وسر باطني خلفها لا يفقهه أو يفهمه إلا من كان على دراية بعلم الباطن وهم الخاصة.

لقوله تعالى:«**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**».[2]

فالبحر يمكن أن يجف و أن ينقطع لكن كلمات الله لا يمكن أن تنتهي فهي مثل الأعداد لا نهاية لها مثل السلسلة المترابطة فكل معنى يؤدي إلى معنى أخر وله صدى في القلوب مثل آيات القرآن الكريم.

إن مكانة اللغة وعوالمها في فلسفة أبن عربي الصوفية كمكانة المنطق في الفلسفة الإسلامية، لأن المنطق عند ابن عربي وفلاسفة الإسلام: آلة تعصم الفكر من الوقوع في الزلل، ومدخل للفلسفة وعلم من علومها في الآن نفسه فإن اللغة عند ابن عربي لها مكانتها وأبعادها الأفسح مجالا، لأنها لا ترتبط باللسان وتحمل معان ظهرت بتركيب الكلمات والجمل فحسب، بل ترتبط بالألوهية وبإيجاد الموجودات كما لها معارج من العامة إلى الخاصة فخاصة الخاصة فالأولياء والأنبياء.[3]

إن اللغة في الفكر الصوفي لدى الشيخ الأكبر مثلها مثل المنطق فهي تحفظ اللسان من الخطأ والزلل فاللغة لدى ابن عربي هي رموز لدلالات لا يفهمها إلا الخاصة من أهل العلم.

---

[1]- ابن عربي، كتاب الشاهد ، رسائل ابن عربي، المصدر السابق، ص:255.

[2]- سورة الكهف، الآية:109.

[3]- خمسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، أطروحة دكتوراه، إشراف التليلي عبد الرحمان، جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص:71.

تكمن أهمية اللغة عند ابن عربي في مناحي أخرى يتداخل فيها الجانب الوجودي بالمعرفي في فلسفة وتأخذ اللغة أبعادها الغيبية الأكبرية، حيث يظهر الجانب الإلهي فيها كما يظهر الجانب الوجودي، فحسب ابن عربي خرج الكون من العدم إلى الوجود، أو خرجت الأشياء من حال الأعيان الثابتة إلى الوجود الفعلي بعد أن امتثلت للأمر الإلهي "كن" وكل هذا يدل على أن اللغة إلهية المصدر وهي كائن حادث مركب يصل الواجد بالموجود. فاللغة تبدأ من الله وتنتهي إلى كثرة الموجودات بل تعود إلى نقطة البدء لتكمل الدائرة ويبرز الكمال الإنساني ليتجلى الكمال الإلهي فيه العالم ككل. [1]

فهو يعتبر أن اللغة تنطلق من الأمر الإلهي وتتجلى في كل الكون من أعلاه إلى أدناه فهي في الأول مصدر إلهي وأن الوجود كله يرتبط باللغة لأنها تساعد على التعبير عن الموجودات.

لقوله تعالى:«**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ».[2]

إن الله تعالى خلق العالم بكلمة كن لهذا فإن اللغة تعد علم إلهي قائم على صيغة الأمر وهي "كن"

علم الحروف علم إلهي، لأن الوجود كان عن النفس الإلهي، وقد أعطى الله عيسى عليه السلام هذه القدرة وهي القدرة على إحياء الصور بالنفخ، من هنا يستحق عيسى أن يكون كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، لأن وجوده نفسه كان عن نفخ ملكي بإذن إلهي.[3]

وعليه فإن هذا العلم جاء من النفس الإلهية وينسب ابن عربي هذا العالم إلى عيسى بن مريم ويسميه بالعلم العيسوي ويرى أن منه يستمد كل الأولياء علومهم ومعارفهم باعتبار أن هذا العالم ليس من شأن العامة والقرآن الكريم زاخر بذلك.

---

[1] – المرجع السابق ، ص: 72.

[2] –سورة يس، الآية: 82.

[3] – أبو زيد نصر حامد، فلسفة التأويل، دار التنوير، لبنان ط (1)،1983،ص: 300.

فحروف القرآن العظيم هي لنبات كلمات آياته البينات التي تكلم بها الحق عز وجل، وبالتالي فإن صفات هذه الحروف تمثل تجليات لحقائق الحضرة الإلهية، ولها مظاهرها في الأفاق الكونية عبر مراتب الوجود لاسيما في عالم الإنسان المخلوق على صورة الرحمان.[1]

فمجمل الحروف هي عبارة فقط عن تجليات لكلمات الله تعالى على عباده فعلم اللغة واسع وزاخر سعة الكون بما فيه ما يملكه الإنسان منه إلا القليل فقط فلكل حرف من الأحرف معنى خاص به بالإضافة إلى تعدد الألسن.

إذا كان ابن عربي هو خاتم الولاية المحمدية، فمن الضروري أن يكون علمه بالحروف على درجة واسعة من العمق والشمول، لأنه يستمد من المشكاة الأصل في هذا العلم، وهو عيسى خاتم الولاية العامة، والحق أن مفهوم ابن عربي للغة وللحروف يشمل الوجود كله من أعلاه إلى أدناه، من عالم الألوهية والخيال المطلق إلى عالم الكون والاستحالة وتتوازى حروف اللغة مع مراتب العارفين بدءا من الأنبياء وانتهاء إلى عوام المؤمنين فتصور ابن عربي للحروف يشمل الكون كله وجوديًا ومعرفيًا.[2]

فتصور ابن عربي للغة ولحروفها عام وشامل امتد ليصل إلى حركات الإعراب والأسماء إلى ظواهر لغوية أخرى وهذا دال على كثافته الكبيرة فعلم اللغة متصل بكل المجلات.ولا يقف ابن عربي عند الحروف فقط، بل يمتد تصوره الوجودي المعرفي ليشمل الحركات الطويلة والقصيرة، وحركات الإعراب، والأسماء بأنواعها المختلفة من أسماء أعلام وضمائر وأسماء موصلة.ويمتد هذا التصور ليشمل أيضا ظواهر لغوية مثل الإعراب والبناء والجمع والإفراد و التأنيث والتذكير.

---

[1]_مفتاح عبد الباقي،بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر، دار الكتب العلمية، لبنان ط(1)،2011، ص: 31.

[2]_ أبو زيد نصر حامد، فلسفة التأويل، المرجع السابق، ص: 301.

لا يكتفي ابن عربي بجوانب اللغة الصوتية والدلالية، بل يمتد تصوره ليشمل الى الشكل الكتابي للحروف والكلمات مستخرجًا منها دلالات وجودية ومعرفية على جانب كبير من الأهمية فيما يتصل بقضية التأويل.[1]

اعتنى أبن عربي بكل جوانب اللغة وذلك لبناء صرح لغوي هام يظهر في فلسفته الصوفية التي كانت مرجع لكل الصوفية بعده وكانت شديدة الأثر.

إن الله تعالى منزه عن البحث عنه في المكان والزمان، فمن باب هذه الزاوية يمكن القول أن الخطاب الصوفي والأدبي يحمل أسراراً والفرق بين أسرار اللاعقل، وبين أسرار الأديب والعالم هي أسرار عقل وعاطفة، فهو يتعامل مع أسراره كأشياء يجهلها الآن، وقد يخترقها بعلمه وعقله غداً، أما العرفاني يتعامل مع الأسرار كأمور يعرفها وحده علما مطلقًا، فللرمز دور في كل هذا من ناحية العرفان والذات وكذا اللغة، لأن الإحساس بها يجعله يثق أكثر في معرفة أسراره، والبحث عنها، كونها لم تحصل عن تعلم واجتلاب إنما تحصل عن إدراك وجداني داخلي التي انطلقت لتصل إلى العرفانية عبر قنوات اللفظ واللغة.[2]

ويعتبر هذا نوع من الكشف والمشاهدة نتيجة لحالة الوجدانية التي يعاتبها المتصوف في بعض الحالات للوصول إلى بعض المعارف اليقينية الصادقة فيقوم بعدة رياضات بدنية وروحية من أجل بلوغ مرتبة عالية من المعرفة لا توجد لدى كافة الناس تخصه لوحده فهو يفارق دياره وأهله فقط من أجل كسب العلم ورضى الله تعالى.

حيث يقول ابن عربي:

1. قف بالمنازل وأندب الأطلالا وسل الربوع الدراسات سؤالا:
2. أين الأحبة؟أين سارت عيسهم هاتيك تقطع في اليباب ألالا
3. مثل الحدائق في السراب تراهم الال يعظم في العيون ألالا

---

[1]_المرجع السابق ، ص:301.

[2]_ بن عزة عبد القادر، مستويات اللغة الصوفية عند ابن عربي، حوليات التراث، العدد 10، مركز النشر مستغانم، 2010، ص:49.

4. ساروا يريدون العذيب ليشربوا ماء به مثل الحياة رلالا

5. فقفوت أسأل عنهم ريح الصبا هل خيموا أو استصلوا الضال

6. قالت تركت على زرود قبابهم والعيسر تشكو من سراها كلالا

7. قد أسدلوا فوق القباب مضربا يسترن من حر الهجير جمالا.[1]

و بين الشيخ في هذه القصيدة أن السالك يترك منازله وأهله لطلب مقام كريم وهو القرب من الله تعالى وإذا كان السالك صادق لا يحال أي شيء بينه وبين ربه فلا ترهبه أي شدائد ومحن فالشوق والحب يجعلها بنظره لذة عظمى.

هناك بعض الأعلام اختصوا بهذا العلم وأبدعوا فيه كل واحد في مناسبة خاصة يقضيها، فهو مثلا يسمي هذا العلم بعلم الأولياء، وينسب هذه التسمية للحكيم الترمذي. ومن المتصوفة قلائل من ملكوا ناصة هذا العلم أمثال: أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاج ومن اللذين سلك ابن عربي مسلكهم في علم الحروف وعدهم من اللذين حازوا على أسرار الحروف، مع التميز عنهم في كثير من الأفكار أبو جعفر الصادق، جابر بن حيان، ابن مسرة الجبلي، وأبو القاسم بن قسي، وابن العريف.[2]

حيث نجد أن ابن عربي أخذ هذا العلم من الكثير من الفلاسفة والمفكرين وأعلام التصوف أمثال الحلاج وابن مسرة وغيرهم رغم وجود تمايز في الأفكار بينهم هو أخذ لب الفكرة وأعاد بلورتها من جديد حيث يعتبر عنده علم خاص ليس من شأن العامة فهي بمثابة سر إلهي لا يرصده أي شخص فهي تعتمد بشكل كبير على الترميز.

إن اللغة عند ابن عربي هي لغة رمزية، فهو يستخدم جميع أشكال الرمزية من الشاعرية إلى الهندسية والرياضية. والمبدأ الذي ينطوي عليه استعمال الرمز مبدأ أساسي، وهو يطلق عليه ابن عربي كما يطلق عليه الشيعة الذين يعتبرونه أمرًا أساسيًا أيضًا اسم التأويل، الذي يعني حرفيا رد الشيء إلى أصله وبدايته، فليس في

---

[1]_ابن عربي، ترجمان الأشواق، المصدر السابق، ص:93-94.

[2]_خمسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، المرجع السابق، ص:76.

العالم ما هو عين ما يظهر عليه، أي أن ظاهره لا يستنفذ حقيقته فكل ظاهر لابد له من باطن، فعليه التأويل أو التفسير الروحي تعني الوصول من الظاهر إلى الباطن من الواقع الخارجي إلى الواقع الداخلي.[1]

فليس الشيء هو ما يبدو عليه فخلف كل شيء هناك سر ومنه يتطلب التأويل في معاني اللغة من دال ومدلول فلكل ظاهر هناك معنى باطن خفي وراءه يرى ابن عربي أن فهمه يكون من خلال تأويله وشرحه.

كما أنه للرمزية بالنسبة لابن عربي والصوفية الآخرون أهمية حيوية مادام أن الكون يخاطبهم بلغة الرمز، ومادام لكل شيء علاوة على قدره الخارجي فلقد احتفظ الصوفيين دائما بروح الرمز، كما أن عملية التأويل لدى محي الدين ابن عربي يمكن أن تطبق على كل المظاهر الطبيعية وكل ما يحيط بالإنسان في حياته.[2]

يعتبر المتصوفة أن الكون بأسره يخاطبهم بلغة الرمز فلا بد من تأويل كل مظاهر الطبيعة لكشف ما هو بعيد عن نظرنا لأن كل العالم هو أسرار محجوبة لا يصلها إلا أهل الكشف والعلم.

ويرى ابن عربي إلى عدم استطاعة الصوفيين التعبير عن مدركاتهم الروحية مما يلحهم إلى الرمز وأن رغبتهم في ذلك هي منع الدخيل من إدراك مغزاهم ومرمى كلامهم.[3]

ومنه فإن لغة الصوفية لا تكمن في ما هو ظاهر بل تمتد الى الباطن فالرمز لدى الصوفية شديد العمق والأثر ويصعب فهمه بالنسبة للعامة أي يعتمدون الصوفية على الإخفاء والسر لتكون معاني ألفاظهم مبهمة لأنها أسرار أودعها الله في قلوبهم.

يتحدث ابن عربي على أن كلام الصوفية خاصة لا يقصد به ظاهره، وإنما وراءه معنى يهدف إليه الصوفي فظاهر كلامهم يخالف الباطن وجاء رمز في أدب المتصوفين ليغطوا به حالهم، ويستروا أسرارهم ففي كشفها

---

[1]_نصر السيد حسن، ثلاثة حكماء مسلمين، تر: فخري ماجد، دار النهار، لبنان، ط(1)، 1971، ص:136.

[2]_المرجع السابق ، ص:136.

[3]_الخطيب علي، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، دار المعارف، القاهرة، د(ط)، 404هـ، ص:15.

خطر على غيرهم فما يراد في أدبهم من ألفاظ كالتي ذكرها الشيخ محي الدين ابن عربي لا يعني بها المعنى الظاهري وإنما تحمل معاني فوقها.[1]

وبهذا يقول الشيخ الأكبر في هذا:

كل ما أذكره من طلل أو ربوع أو معان كل ما

وكذا أن قلت ها أو قلت يا وألا لن جاء فيه أو أما

وكذا أن قلت هي أو قلت هو أو هم أو هن جمعا أو هما

وكذا أن قلت قد أنجد لنقدر في شعرنا أو أتهما

وكذا السحب إذا قلت بكت وكذا الزهو إذا ما إبتسما

أو أنادى بحداة يعموا بأنه الحاجر أو ورق الحمى

أو بدور في خدور أفلت أو شموس أو نبات أنجما.[2]

ومنه فإن كلام المتصوفة لا يفهم بالتصريح بل بالرمز ويمنع من الدخيل عليهم فهم مغزاهم ومراميهم المبهمة بل ينفردوا بها لوحدهم.

لهذا كله حث ابن عربي على ترك طلب هذا العلم دون عناية ربانية وولاية إلهية فقال عن طلب علم الحروف: «وهو علم شريف في نفسه إلا أن السلامة منه عزيزة» أي علم الحروف للولي والصوفي الذي وفقه الله في درك أسراره هو سبيل لتحقيق السعادة، بينما بالنسبة لطالبه من غير الصوفية فهو سبيل للشقاء لا إلى السعادة.[3] فعلم الحروف يخوض فيه الصوفي وغيره فالأول يسعد بما ينتج عنه من معارف كشفية تتعلق بالحروف وأسرارها بينما إذا كان خارج دائرة التصوف هو كسحر

---

[1]_المرجع السابق ، ص:17.

[2]_ابن عربي، ترجمان الأشواق، المصدر السابق، ص:25.

[3]_خمسي ساعد، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، المرجع السابق، ص:78.

لم يتوقف الصوفية عند حد الإقرار بسعة اللغة واستيعابها لكل المعاني فاعتبروها قابلة وقادرة على أن تسع الوجود كله تسع الأسماء الإلهية وتسع قدرة الإله وعزائمه بل تسع عظمته التي لا يسعها إلا علمه.[1]ولقوله تعالى:«**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**....».[2]

اعتبر الصوفية ان اللغة قادرة ان تسع كل الوجود باسره ويرجع هدا الى قوة الايحاء والتعبير .

[1]_المرجع السابق ، ص :79.

[2]_سورة لقمان، الآية:27.

المبحث الثاني: رمزية الحروف عند ابن عربي

يعتبر ابن عربي أن علم الحروف من الأسرار المكنونة وقد جعلها الصوفية ستراً على العامة ويرى محي الدين ابن عربي أن للعدد أسرار عجيبة وهي من الحقائق الإلهية والله سبحانه وتعالى فرد بالكثير من الصفات ثم أرسل هذا العلم في القرآن الكريم ولكن له معنى ظاهر وأخر باطن.

إن للحروف جوامع وحدود، لما يتفصل في الكلم، والكلم جوامع وأفراد لما يتفصل معناه في الكلم فإن الكلام مثلا حول خلق آدم من أمر زوجه، وخلق نفسه، وطباع جسمه على ما لا ينحصر من تفصيل ذاته منحصر طل ذلك بمنزلة الكلام، ومجموع في مدلول اسمه وما جمعه وأفرده اسمه فداخل تحت حدود حروفه.[1] ويركز ابن عربي بكثرة على هذا العلم لأنه شاسع فهو يقوم على الجمع والإفراد لأن اللسان في بعض الأحيان لا يستطيع التعبير عن كافة الأمور رغم توفر الشخص من الحروف.

فإن الخطاب بالحروف هو ما خص به محمد صلى الله عليه وسلم فلم تنزل الحروف في كتاب قبل كتابه، فعلم معانيها ومواقع رتبها التي منها تنشأ الأعداد مما يختص به كل محمد صلى الله عليه وسلم.[2] ولقد جاء القرآن الكريم زاخر بعلم الحروف وهو عبارة عن فن من الفنون الكبرى من حيث تناسق وانسجام وقوة الإدلال فيه وصدق كلامه فهو من المولى عز وجل.

وحرف الشيء طرفه وحده وقدوره في القرآن الكريم بهذا المعنى،[3] في قوله تعالى:« **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ * فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ * وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ * ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**)[4](4)

---

(1)_ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، المصدر السابق، ص :45.

(2)_المصدر نفسه ، ص :45

(3)_الشرقاوي حسن، معجم الالفاظ الصوفية، المرجع السابق ص: 119

(4)_ سورة الحج ، الآية : 11 .

هناك بعض الناس يعبد الله على غير تصديق وطمأنينة وينحرف لابتلاء أو اختبار من الله وذلك لأن إيمانه غير صادق وناقص فلو توجه إلى الله بقلبه لما خاب ظنه به وعرف أن كل شر هو فقط اختبار أو قدر وعسى أن يكون بعده فرج كبير.

وضع ابن عربي الحروف، في مراتب متعددة ومقامات متدرجة كمقامات العارفين، وخص كل حرف بأسرار لا يدركها إلا من حاز علوم فك الرموز وحل الألغاز وفهم الإشارات، والتي يندرج ضمنها العلم بخواص الحروف والأسماء، كما ربط الحروف بالأفلاك والأبراج ومنازل القمر، حتى أنه وبعض علماء اللغة عدوا حروف اللغة ثمانية وعشر بين حرفا على عدد المنازل الثمانية والعشرين مع الاختلاف في عد "لا" ضمن الحروف أو مركبة من حرفي اللام والألف.[1]

خص ابن عربي الحروف بأسرار لا يعرفها ولا يفقها إلا الخاصة من الأولياء والأنبياء وأهل الإشارة فقط.

ويرى الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي أن لكل حرف معنى ظاهر ومعنى آخر باطن، وأن المعنى الباطن يجهله أصحاب العلم الظاهر، لا يكمل لعبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف يقصد بها الحروف الواردة في القرآن الكريم في أوائل السور مثل "ألم"، ويمكن معرفة معاني هذه الحروف عن طريق الكشف فيقول :«وهو الطريق الذي عليه أسلك والركن الذي أستند إليه في علومي كلها وإن شئت أبديت لك منه طرفا من باب العد».[2]

لكل علم في الدنيا جزء ظاهر وآخر باطن لا يمكن ضبطه لأنه يتسع إلى مالا نهاية وعلم اللغة كالبحر بما يحتويه.

---

[1] _ القلقشندي أحمد بن علي، صبح الإعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، 1987، ص:12.

[2] _الشرقاوي حسن، معجم ألفاظ الصوفية، المرجع السابق، ص :120.

كما تتعد العبارات الاصطلاحية على منوال ابن عربي إلى مالا نهاية لأن كائنات الوجود لا نهاية لها ولا نهاية للمعاني المتركبة فيها، كما يمكن للبشرية بأجمعها أن تركب ما تريده من كلمات لتعبر عن نفسها وكل ما تركه من كلام يستمد أصوله من أحرف لا تزيد على ثمانية وعشرين حرفًا في اللغة العربية.[1]

أي لا يمكن أن نحصر اللغة باستخدام ما سمعنا من لغة العرب أو من القدماء فهي علم زاخر وشاسع المعاني حيث أن لكل حرف من أحرفها رمز تدل عليه مثل حرف الألف له رمز لدى الصوفية.

أولا: رمزية "الألف" ومنزلته بين الحروف

يعتبر الألف ليس من الحروف وإن تكن قد سمته العامة حرفًا، فإذا قال المحقق إنه حرف قائما يقول ذلك على سبيل التجوز في العبارة، ومقام الجمع من الأسماء له اسم الله، وله من الصفات القيومية، وله من أسماء الأفعال: المبدئ الباعث الحافظ الخالق والبارئ المصور والوهاب الرزاق والفتاح والباسط، وله من أسماء الذات: الله والرب والظاهر والواحد والأول الآخر، وله من الحروف اللفظية: الهمزة واللام، وله من البسائط: الزاي والميم والهاء والفاء واللام والهمزة، وله من المراتب كلها وظهوره من المرتبة السامية وظاهر سلطانه في النبات، وإخوته في هذه المرتبة الهاء واللام وله مجموع عالم الحروف ومراتبها ليس فيها ولا خارجًا عنها.[2]

ينظر محي الدين ابن عربي إلى حرف الألف على أنه ليس كسائر الحروف بل هو الأساس والكيان ويعتبر أنه قطب كل الأحرف وهو من الأساسيات في علم اللغة.

حيث يقول ابن عربي عن حرف الألف:

ألف الذات تنزهت فهل لك في الأكوان عين ومحل

قال لاخير التفتي فأن حرف تأييد تضمنت الأزل

---

[1]-الحكيم سعاد، ابن عربي ومولد لغة جديدة، المؤسسة الجامعية لدراسات، لبنان، ط(1)، 1991، ص:87.

[2]-[1] بن عربي، الفتوحات المكية، المصدر السابق، ص :106.

فإن العبد الضعيف المجتبي وأما عن عز سلطاني وجل.[1]

ويرى ابن عربي والصوفية أن حرف الألف يرجع إلى الذات الإلهية أي إلى الحق من حيث هو الأول في الأزل فهو الأول في اسم الجلالة وهو الأول في كلمة الأزل وهو الأول في ذكر الحروف.

وحرف الألف هو ما يعبر عنه في معنى الطموح إليه من جوامع مفصل الوجود علوًا، فالألف هو اسم للقائم الأعلى المحيط الذي منه اسم الله تعالى.[2]

إن الألف من أهم الأحرف لكونه هو البداية وهو موجود في اسم الجلالة هذا ما جعله يعتبر المركز والقطب الأول لكل الأحرف وهو يؤلف بين الحروف ويجمع بينها وهو موجود في صفات الذات وصفات الأفعال.

فالألف لها منزلة المبدأ الذي يرجعان إليه حيث لا يصلح ظهور هما بمنزلة أصول المخلوقات، مما صور منها حيث تبطل صورهما متعود إلى أصولها.[3]

لقد نزه ابن عربي حرف الألف وجعله روحًا تسري في كل حرف وأخرجه من قائمة الحروف فهو حقيقة قائمة بذاتها مثل حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم منه كان المعرفة وهو المأثر على كل الناس وهو الوعظ فيهم.

إن سبحانه وتعالى جعل أولها ألف في الخط والهمزة في اللفظ، فالألف الوجود دال على كمالها لأنها غير مفتقرة إلى حركة، ثم جعل سبحانه هذه الحروف على مراتب منها موصول ومنها مقطوع ومنها مفرد ومثنى ومجموع.[4]

ثم إن الله تعالى هو الذي وضع هذا الترتيب في كتابه العزيز وجعل كل أسمائه الحسنى بهذا الحرف لأنه يدل عليه ويرمز له وهو قطب كل الأحرف.

---

[1]_ المصدر السابق، ص:106.

[2]_ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، المصدر السابق، ص:50.

[3]_المصدر نفسه ، ص:51.

[4]_ابن عربي، الفتوحات المكية ،ج 1، المصدر السابق، ص :98.

الهمزة من الحروف التي من عالم الشهادة والملكوت لها من المخارج أقصى الخلق ليس لها مرتبة في العدد لها من البسائط الميم والزاي والألف والياء لها من عالم الملكوت ولها الفلك الرابع ودورة فلكها تسع آلاف سنة ولها من المراتب الرابعة والسادسة والسابعة. وظهور سلطانها في الجن والنبات والجماد ولها من الحروف الهاء والميم والزاي والهاء في الوقف والثاء بالنطقين من فوق أي الوصل والتنوين في القطاع لها من الأسماء ما للألف والواو والياء فأعلى عن التكرار وتختص من أسماء الصفات بالقطر والقاهر والمقتدر والقوي والقادر وطبعها الحرارة واليبوسة وعنصرها النار و اختلفوا هل هو حرف أو نصف حرف في الحروف الرقمية ويقول ابن عربي في ذلك:

همزة القطاع وقتًا ونصل كل ما جدورها من منفصل.

فهي الدهر عظيم قدر ما جل من يحصره ضرب المثل[1]

وتعتبر الهمزة اسم لأول ظهور للقائم الأعلى الذي منه اسم الإله ويعتبرها ابن عربي من عالم الشهادة ومن عالم الملكوت ولها عدة مراتب من مراتب الحروف.

ثانيا: رمزية "الباء" ورتبتها بين الحروف

يرى ابن عربي أن الحروف وخاصة الباء ظهرت بها الأشياء، وذلك أن الباء أول نحو وهو في المرتبة الثانية من الوجود وهو حرف شريف فإنه العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض وما بينهما وأنه من شرفه وتمكنه من الطريق أن أفتتح الحق تعالى به كتابه العزيز بسم الله فيبدأ بالباء وهكذا بدأ بها في كل سورة، فلما أراد الله أن ينزل سورة التوبة بغير بسملة ابتدأ فيها بالباء دون غيرها من الحروف، وكان الشيخ الأكبر يقول أنه ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه.[2]

إن الشيخ الأكبر يرى أن الباء من أهم الحروف وأشرفها لكون أن القرآن الكريم في كل سورة يبدأ بها كلامه فهذا هو ما عظم شأنها وجعلها ذات شأن كبير وواسع في الكون.

---

[1]_ المصدر السابق ،ص :106.

[2]_ابن عربي، كتاب الباء، المطبعة المنيرية الأزهر، القاهرة، ط(1)، 1954، ص:3-4.

ويذكر ابن عربي أنه ما رأى شيئًا إلا ورأى الباء عليه مكتوبة، وهو أنه رأى صورة الباء عليه مكتوبة أي رأى صورتها في كل شيء فهي سارية في الأشياء ولهذا ذكر الله تعالى أن الظل يسجد له بالغد والأصال لميل الشمس وظهور الظل فإن النور اذا اكتنفك من جميع الجهات وهو حد الاستواء اندرج ظلك في نورك كما يفنى الكون عند ظهور الحقيقة فلا يبقى له أثر في أي مقام الذكر فيفنى الكون عند الذكر أي ظهور الباء لأنه ثوبها وأن الكون ينسلخ منها وهي لا تنسلخ منه كما انسلخت هي من هوية موجدها.[1]

و الشيخ الأكبر أن حرف الباء يخرج منها كل الكون كما خرجت هي من موجدها وهو الله سبحانه وتعالى والباء يشيرون بها إلى أول الموجودات و افتتح الحق تعالى جميع السور القرآنية بها.

ويرى الشبلي أن النقطة التي تحت الباء تميزها عن التاء والثاء وغيرها، فقد شهد بشرف هذا الحرف وذلك أن حرف الباء حرف اتصال ووصلة وهو من عالم الشهادة الظاهر وله من المراتب المرتبة الثانية.[2]

وهنا تظهر النقطة التي تحت الباء هي التي تميزها عن باقي الأحرف التي تتشابه معها مثل التاء والثاء لكونها حرف شريف وذكرت في أوائل السور القرآنية مثل بقسم الله.

والباء اسم لا ينهي تنزل في أتم غايات الحكمة التي تضاف الأشياء كلها أعلاها وأدناها إليه، الذي هو اسم في قوله تعالى بي يسمع وبي يبصر.[3]

وهذا الحرف له عدة معاني كالإلصاق والظرفية والتبعيض والزيادة والاستعانة وذلك لرفعة شأنها وذلك لأن كل ما في القرآن هو يوجد في الفاتحة وكل ما في الفاتحة هو في البسملة وكل ما يوجد في البسملة هو حرف الباء وكل ما فيها هو النقطة التي تحتها.

---

[1]_ابن عربي ،كتاب الباء، المصدر السابق ، ص: 8-9.

[2]-المصدر نفسه، ص:4.

[3]_ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، المصدر السابق، ص:50.

ولقد سموا هذه الباء في النحو قولهم، مررت يزيد وظفرت سكر، وغير ذلك، مما تصل فيه الأسماء بالأفعال، مرة حرف إلصاق، ومرة حرف الاستعانة، ومرة حرف إضافة فأما الإلصاق نحو قولك: أمسكت زيداً وأما الاستعانة في قولك، ضربت بالسيف وأما الإضافة في قولك مررت بزيد.[1]

ولها في اللغة العربية عدة معاني تفييدها في اللغة كالإلصاق والإضافة والاستعانة وهذا يساعد على اتساق المعاني وتيسر الفهم.

ويرى ابن عربي أن الباء من عالم الملك والشهادة والقهر، مخرجها من الشفتين، عدده اثنان بسائطه الألف والهمزة واللام والفاء والهاء والميم والزاي، ففكه الأول الحركة المذكورة يتميز في عين صفاء الخلاصة وفي خاصة الخاصة، له بداية الطريق وغايته، مرتبة السابعة سلطاته في الجماد طبعه في الحرارة واليبوسة، عنصره النار، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة له الحقائق والمنزلات والمقامات، خالص كامل مربع مؤنس له الذات ومن حروفه الألف والهمزة ومن الأسماء كما تقدم ابن عربي في هذا الحرف:

الباء للعارف الشبلي معتبر وفي لقبها للقلب مذكر

سر العبودية العمياء مازجها لذلك ناب مناب الحق فاعتبروا

أليس يحذف من يسم حقيقته لأنه بدل منه لذا وزر.[2]

كما يتميز هذا الحرف من بين باقي الأحرف برفعة شأن وقوة تدليل لأن كل سور القرآن الكريم تبدأ به وهذا دال على قوته وتنزيهه وله المرتبة الثانية بين باقي الأحرف وحاز هذا الحرف على سر إلهي في القرآن.

ثالثا: رمزية حروف "الميم" و"الواو" و"النون".

تعتبر الميم من عالم الملك والشهادة والقهر، مخرجه مخرج الباء، عدده أربعة وأربعون، بسائطه: الياء والألف والهمزة، فلكه الأول، يتميز في الخاصة والخلاصة وصفاء الخلاصة، له الغاية ظهور سلطانه في الإنسان

---

[1]_ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج1، تح: إسماعيل محمد حسن محمد حسن، دار كتب العلمية، لبنان، 2000، ص:134.

[2]_ابن عربي، الفتوحات المكية ،ج 1، المصدر السابق، ص:117.

طبعة البرودة واليبوسة، عنصره التراب، يوحد عنه ما يشاكل طبعه، له الأعراف، خالص كامل مقدس منزه مؤنس له من الحروف الباء ومن الأسماء كما تقدم.[1]

يرى ابن عربي أن حرف الميم هي حرف شريف ولذلك وضع فيها كتابه الميم الواو والنون وهي تتكون من حرفين أولها مثل آخرها ويذكر ابن عربي أن لها أسرار كبيرة لا يستطيع الإنسان أن يتصورها وهي أنها ترمز لبدء الخلق الروحاني والجسماني كما ترمز أيضا الميم إلى الإنسان.

وقال ابن عربي في هذا الحرف:

الميم كالنون إن حققت سرها في غاية الكون عينها والبدايات

والنون للحق والميم الكريمة لي بدء لبدء وغايات لغايات

فبرزخ النون روح في معارفه وبرزخ الميم رب في البريات.[2]

فإن لهذا الحرف عند ابن عربي شأن عظيم حيث وضعه في البسملة فالميم التي في بسم هي لآدم عليه السلام لأنه صاحب الأسماء الذي علمه إياها رب العزة والجلالة وأما الميم في الرحيم هي لمحمد صلى الله عليه وسلم.

حرف الميم هو اسم لتمام ينتهي إليه ظهور كالظهور العلى الذي اسمه الملك، وهو التجلي للخلق يوم الدين وهو تمام ما تنزلت إليه الإلهية، ولم يتسم الحق تعالى باسم دون الملك كالوزير، ويعبر عنها في ميم الملكوت والملك.[3]

فلقد جعل الله تعالى لكل نبي إشارة ورمز حيث جعل إشارة النبي خاتم في الهاء وإشارة الوالي الخاتم الواو وإشارة آدم في اللام وسجد الملائكة لآدم وكلهم للنبي الخاتم أجمعين فرسمت الميم في دائرة من الأعلى للأسفل دليل على الخلق والنشأة.

---

[1]_ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، المصدر السابق، ص:118.

[2]_المصدر نفسه ، ص:118.

[3]_ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، المصدر السابق، ص:53.

ويعتبر الواو من عالم الملك والشهادة والقهر، مخرجه من الشفتين، عدة ستة، بسائطه: الألف والهمزة واللام والفاء، فلكه الأول، يتميز في خاصة الخاصة وفي الخلاصة، له غاية الطريق، سلطانه في الجن، طبعه الحرارة والرطوبة، عنصره الهواء، يوحد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة، له الأعراف، خالص ناقص مقدس مفرد موحش، له من الحروف الألف ومن الأسماء كما تقدم.[1]

وهذا يعني على أن الواو هو عبارة عن حرف دال على الوالي الخاتم وهو إشارة له ويتكون من واو بين في أول وفي الآخر توسطها ألف والواو الأولى تدل على الهوية والثانية يرى أنها تدل على الكون من حيث أمره الله "كن"

حيث يقول ابن عربي في هذا الحرف:

واو إياك نقدس من جودي وأنقس

فهو روح مكمل وهو سر مدس

حيث مما لاح عينه في بيت مقدس

بيته الدار العل ية قبنا المؤسس.[2]

ويرى ابن عربي أن هذا الحرف وهو الواو متعلق في الأساس جوهره بالإلهيات وهو إشارة للولي الخاتم

وتعتبر الواو اسم لقيام الألف متعاليًا مكملا لجملة تامة الذي منه اسمه الولي، ثم لتمام كل جملة بكل بها ظهور ما ثم، وتراه بادروا بها ظاهراً وباطنًا كالأولياء القائمين بأمور ما يتلونه، وكالولاية والمودة، وكل زوجين متقاطعين تربط بينهما رابطة تعطفهما لما ظهر إله كالسماء والأرض وسائر الأرواح.[3]

ويعبر عنها في معنى الطموح إليه والإضافة والزيادة من إحاطة ومتنزه في الوجود وتمثل الله والعلم والإنسان فهي من بين الأحرف الشريفة لهذا وضع فيها كتاب الميم الواو والنون.

---

[1]_ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، المصدر السابق، ص:118.

[2]_المصدر نفسه، ص :118.

[3]_ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، المصدر السابق، ص :51.

معنى حرف النون هو اسم لما يه ظهور الأشياء وعملها وإدراكها وهو سبب لما به القيام من الظهور ومعناه اسمه تعالى النور وظاهراً كالنيرين للعيون فيما به يشاهد، ومعنى حرف النون أول ما نظم معناه بهذه الحروف الأول من سائر الحروف، فإن هذه الحروف الأول حدود ومطمح معنى وسائر الحروف ذوات وسع، ومن أعلقها بمعنى ما هو حد مطمع هذه الحروف الذي حده هو ما يعبر عنه النون، الذي انتظامه بالحركات هو ما آيته العلم المكمل به الحياة.[1]

أما عن رمزية حرف النون بين الحروف اللغة يرى ابن عربي أنها تصف دائرة يمثل عالم الحس عن هذا النصف ظهرت المحسوسات وعن النصف الخفي ظهرت الروحنيات وقدر هذا الحرف يظهر في القرآن الكريم.

تعتبر النون من عالم الملك والجبروت، مخرجه من حافة اللسان وفوق الثنايا، عدده خمسون وبسائطه: الواو والألف، يتميز في الخاصة وخاصة الخاصة، له غاية الطريق، مرتبته المرتبة المنزهة، ظهور سلطانه في الحضرة الإلهية، طبعه البرودة واليبوسة، عنصره التراب، يوجد عنه ما يشاكل طبعه، حركته ممتزجة له الخلق والكرامات والأحوال، خالص نافص مفرد موحش له الذات له من الحروف الواو. ويقول ابن عربي في هذا الحرف:

نون الوجود تدل نفعة ذاتها في عبتها عبنًا على معبودها

فوجودها من جوده ويمينه وجميع الأكوان العلى من جودها

فانظر بعينك نصف عين وجودها من جودها تعتز على مفقودها.[2]

[1]_المصدر السابق، ص:52.

[2]_ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، المصدر السابق، ص :112.

المبحث الثالث: الخيال والكشف الصوفي

يعتبر ابن عربي من أهم المتصوفة اهتماما بدراسة الخيال وتحليل مستوياته ووظائفه كما اهتم بشكل كبير بالكشف وبأهميته وابن عربي لم يرجع إلى تعريف الخيال بناء على الاشتقاق أو باعتباره حضور الصور الحسية بعد غيبتها من الحس كما يراه باقي الفلاسفة وإنما ركز أكثر على وظيفته أكثر من التركيز على تعريفه فقط.

إن الحقيقة الكونية على ثلاث مراتب، علوية وهي المعقولات، وهي مرتبة المعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول، وسفلية هي المحسوسات ومن شأنها أن تدرك بالحواس، و برزخية شأنها أن تدرك بالعقل والحواس، وهي المتخيلات، وهي شكل المعاني في الصور المحسوسة، وما تصوره القوة المصورة الخادمة للعقل وأجرى الله تعالى المعاني في المخاطبات، مجرى المحسوسات في الصور، التي تقبل التجزئ والانقسام والقلة والكثرة وجعل محل ذلك حضرة الخيال، فتحصر المعاني في الخطاب، فتتلقاها بالتشبيه العقول، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني، التي ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها أن تكون متميزة أو منقسمة أو قليلة أو كثيرة أو ذات حد أو مقدار أو كيف وكم والدليل في ذلك ما يراه النائم في نومه.[1]

اهتم ابن عربي اهتمام واسع بالخيال ووظائفه و استعمل بذلك مفهوم البرزخ في حديثه عن الخيال والخيال عند الشيخ يرتبط بعالم المثل وهنا تحصل الرؤيا الصادقة مثل رؤية إبراهيم عليه السلام.

فالخيال عند الصوفية هو الوجود. لأن الناس كما قيل نيام لا يرون في هذه الدنيا إلا خيالاً، فإذا ماتوا انتبهوا وكل ما تجلى عليه الحق معرفة أدرك أن هذا العالم المحسوس خيال نائم، وأن الارتقاء لله لا يكون إلا بالانتباه من النوم.[2]

---

[1]_لغراب محمود محمود، الخيال عالم البرزخ والمثال لكلام الشيخ محي الدين ابن عربي، دار الكتاب العربي، دمشق، ط(2)1993، ص:9.

[2]_صليبا جميل، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص:547.

وهو عند المتصوفة عبارة عن رؤية فقد اعتبروا أن الناس نيام وهم لا يشاهدون إلا الخيال وهو عند الفلاسفة القدماء قوة للنفس وهو نوعان خيال تمثيلي وآخر مبدع وهذا المعنى أي الخيال يكثر تداوله في الفنون مثل الأديد والشعر ويربط ابن عربي الخيال بالعبادة اتجاه رب العزة وعلى هذا القدر يكون حضوره في العالم فكل العوالم أصلها الخيال.

كما إن كل العوالم أصلها الخيال، ولأجل ذلك فإن أهل الدنيا مقيدون بالخيال معاشهم ومعادهم وكلا لأمرين غفلة عن الحضور مع الله سبحانه وتعالى، فهم نائمون والحاضر مع الله هو المنتبه، وعلى قدر حضوره مع الله يكون انتباهه.[1]

المتصوفة يرون أن الناس نيام ولكن الحاضر هو من يقوم بكل واجباته وأوامر الله ويبعد عن نواهيه لكي ينال القرب منه تعالى.

أما الخيال عند ابن عربي يرتبط عنده بالعبادة ومنها يكسب شرعيته، يقول ابن عربي عن قول النبي في مضمون كلامه اعبد الله كأنك تراه في قبلة المصلي أن تخيله في قبلتك، وأنت تواجهه لتراقبه وتستحي منه وتلزم الأدب معه في صلاتك فإن لم يفعل الإنسان هذا أساء الأدب لو أن الشارع علم أن عندك حقيقة تسمى الخيال ما قال كأنك تراه بصرك.[2]

والخيال يتمثل أيضا في العبادة وطاعة الله تعالى لأن الإنسان يمتلك خاصية التعقل والتدبر وهذا ما يجعله أهل للخشوع في هذا الكون.

---

[1]_الزوبي ممدوح، معجم الصوفية، المرجع السابق، ص:158.

[2]_الصادق أحمد، إشكالية العقل والوجود في فكر ابن عربي، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط(1)، 2010، ص:502.

والخيال له أهمية في التعبد وهذه الأهمية التي للخيال آتية من كون الحق سبحانه لم يصف نفسه بالعاقل والعقل كما يفهم الفلاسفة ذلك وإنما وصف نفسه بالسميع والبصير وهذا يعني أن لا ينبغي أن نتأمل الحق أو نعقله وإنما نعبده كأننا نراه والرؤية لها علاقة بالبصر حسن الحسن له علاقة بالخيال.[1]

فمن عملية التخيل والتدبر والتمعن في أمور الكون والدنيا والخلق هذا يساعد الإنسان على التعبد ويقوي صلته بالله تعالى ويجعله أكثر قربة منه.

إن مذهب الخيال في وظيفته النفسية الكونية ذو خاصية ترتبط ومتعلقة بنشأة الكون، وعلينا بهذا أن نأخذ بالاعتبار كون فكرة التكوين إن كانت غريبة عن فكرة الخلق من عدم.[2]

والخيال متعلق بشكل كبير بنشأة الكون وتطوره ونشأ الكون من إلهي "كن" فكان وجودًا عينيًا وعلم الخيال هو علم الخيال هو علم المرايا كل سطح يعكس الصور التي تظهر فيه ويندرج في الحكمة الصوفية.

وهو أيضًا علم الأنساب الإلهية حين يتفكر في العماء الأصلي، وفي تجليات الحق الذي منه كل الموجودات بما أن الأمر يتعلق دومًا بتجلي وخفاء الأسماء الإلهية وهنا أيضا يكون علمًا للكونيات لأنه معرفة للوجود.[3]

والخيال هو لدى الصوفية مهم جدا لأنه يساعدهم بالسفر لاطلاع على أمور يعجز العقل عن تصورها حيث تقع الرؤية والكشوف.

والخيال المطلق هو المسمى بالعماء، وهو الحضرة الجامعة والرتبة الشاملة وإنشاء هذا العماء من نفس الرحمان، الذي هو أول ظرف قبل كينونة الحق، وهو الحق المخلوق به كل شيء، وفتح الله في هذا العماء صور كل ما سواه من العالم، واختلاف أعيان الممكنات في أنفسها في ثبوتها، ألا أن ذلك العماء هو الخيال المحقق، ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها، وتصوير ما ليس بكائن، وهذه الموجودات التي أوجدها الحق تعالى، هي للأعيان التي

---

[1] _المرجع السابق ، ص:52.

[2] _كوربان هنري، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، تر: الزاهي فريد، منشورات مرسم، الرباط، د(ط)، 2006، ص:185.

[3] _المرجع نفسه، ص:186.

يتضمنها هذا البرزخ بمنزلة الضلالات للأجسام، ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ، بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود، وبين الأجسام النورية والطبيعية، كالعلم والحركة فتتجسد في حضرة الخيال كالعلم في صورة اللبن وكجبريل في صورة حية، و ما ظهر من الملائكة في صور الذر يوم بدر هذا في الخيال المنفصل.[1]

كما أن الخيال يؤدي إلى الإبداع والتفنن لكنه لدى الصوفية هو أساس في عملية الكشف عن المحجوب لديهم لأنه يفتح لهم أبواب اليقين.

والخيال وارد في القرآن الكريم كالعصا والحبال في صور الحيات تسعى، كما قيل أنه خيل اليه يعني إلى موسى أي من علمهم فاقموا ذلك في حضرة الخيال فأدركها مون مخيلة ولا يعرف أنها مخيلة خاف لكن الله تعالى طمأنه.[2]

إن معجزة سيدنا موسى عليه السلام هي هن أعظم المعجزات في القرآن ظن أنها مخيلة لكنها حقيقة مطلقة بذاتها و لا يمكن نكرها.

والحضرة البرزخية هي ظل الوجود المطلق من اسم النور، الذي ينطلق على وجوده الأعيان ظل لذلك الظل، والضلالات المحسوسة ضلالات هذه الموجودات في الحس، ولما كان الظل في حكم الزوال لا في حكم الثبات، وكانت الممكنات وان وجدت في حكم العدم سميت ضلالات، ليفصل بينها وبين من له الثبات المطلق في الوجود، وهو واجب الوجود سبحانه. وبين من له الثبات المطلق في العدم هو الحال، لتتميز المراتب في الأعيان الموجودات إذا ظهرت ففي هذا البرزخ هي. فإنه ما من حضرة تخرج إليها ففيها تكسب حالة الوجود.[3]

ويرى ابن عربي عن البرزخ على أنه حاجز فاصل بين أمرين كالخط الفاصل بين الظل والشمس أي كل طرفين يلتقيان في أوصاف ويختلفان في أوصاف أخرى.

---

[1]_ الغراب محمود ، الخيال عالم البرزخ والمثال، ص:11.

[2]_المرجع نفسه ، ص:11.

[3]_المرجع نفسه ، ص:12.

كما يتجلى جانب الخيال الإلهي في كونه قوة بواسطتها أو من خلاله يتصرف الحق في المعلومات وإذا كان العالم موجوداً أزليًا في علم الله، فإن عملية إيجاد العالم من حالته العلمية إلى حالته العينية، أو من المعقول إلى المحسوس، وإنما تتم عن طريق التجلي الإلهي في الخيال بمراتبه المتعددة. ومعنى ذلك أن الخيال المطلق هو القوة الإلهية الخلاقة التي تظهر المعقولات في صور المحسوسات عن طريق التجلي الإلهي من خلال الوسائط المعقولة المختلفة، والخلق ليس عملية إيجاد من عدم بل هو نتاج التخيل الخلاق للذات الإلهية.[1]

ويرى ابن عربي أن خلق العالم هو نتيجة الخيال الخلاق للذات الإلهية ثم تجلى ذلك في سائر الموجودات في الكون فلولا الخيال الخلاق لله تعالى لما ظهر الكون على هذا القبيل.

وكان الخيال عند ابن عربي لا موجود ولا معلوم ولا معدوم ولا مجهول ولا منفي، كما لا لون له هو كالمرآة تعكس الصور المختلفة التي تقابلها، ولا يعني هذا أنه قوة منفعلة فحسب، بل هي فعالة إذ بها تنزل المعاني في صور محسوسة، وتأخذ الأشياء المحسوسة معاني مجردة، يقول ابن عربي الخيال ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية، كالعلم في صورة لبن والقرآن في صورة حبل والدين في صورة قيد، وربط ابن عربي كثيرا بين الخيال والرؤى.[2]

فالخيال عند الكبريت الأحمر هو عبارة عن رؤى وشرح ابن عربي ذلك مثل في رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام ورؤيا يوسف عيه السلام للكواكب والشمس فمثل هذه الرؤى الصادقة يثبتها الله تعالى في القلب فهي لا تكتسب.

ويعرف الشيخ الأكبر التجليات من حيث هي أصل المعرفة على النحو الآتي :«التجلي هو ما ينكشف للقلب من أنوار الغيب». وهذا يبين حقيقة المعرفة كما يرى ابن عربي فالمعرفة هي انكشاف حقيقة

---

[1]_أبو زيد نصر حامد ،فلسفة التأويل، المرجع السابق، ص:56.

[2]_المصباحي محمد، ابن عربي في أفق ما بعد الحداثة، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط(1)، 2003، ص:128.

الشيء أو ماهيته أمام نظر العارف، وهذا الانكشاف يتحقق رمزيًا برفع الحجاب أو حجاب القلب. ويكون ذلك بفعل التجليات الإلهية أي يقذفها أنوار الغيب في أعماق القلوب.[1]

فكل من الرؤيا الصادقة والخيال تمكن الإنسان من رفع الحجاب والكشف عن بعض الحقائق الغير معروفة ويقذفها الله تعالى في قلبه.

كما أنه من الكشف ما هو عقلي وما هو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج، ومنه ما هو نفساني وهو ما يرتسم في النفوس الخيالية المطلقة عن قيوده المزاحية بأزمان الرياضات والمجهودات بعد كشف حجب المبايانات و المماىزات، ومنه ما هو روحاني وذلك بعد كشف الحجب العقلية والنفسانية ومطالعة مطالع الأنفاس الرحمانية، ومنه ما هو رباني وذلك بطريق التجلي إما بالتنزيل أو بالعروج أو بمنازل أسرار، وهذا النوع يتعدد بتعدد الحضرات الاسمائية في كل حضرة من الحضرات الاسمائية وأعلاها التجلي الإلهي يعطي المكاشفات الكلية وفوقها التجلي الذي يعطي الكشف بحقيقة الحقائق وبمراتبها.[2]

ومنه يرى ابن عربي أن المجاهدات والرياضات الروحية التي يقوم بها الصوفي لسلوك هذا الطريق الوعر بغية التقرب من رب العزة تساعده على فتح أبواب الحجب.

ويكشف الله تعالى للعبد شيئا من أمور الغيب أو يطلعه الله تعالى على شيء من العلوم الغيبية ويعتبر الكشف في اللفظ وفع الحجاب، و اصطلاحا هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا.[3] لقوله تعالى:«**وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** »[4]

---

[1]_ابن عربي، التجليات الإلهية، تح : يحي إسماعيل عثمان، مركز دانشكاهي، طهران، د(ط)، 1988، ص:24.

[2]_ابن عربي، إنشاء الدوائر، تح: نيبرغ ،منشورات مواقف، لبنان، دط، 2012 ، ص:156.

[3]_اليافعي عبد الفتاح بن صالح قديش، الكشف والإلهام، مركز خالد بن الوليد، صنعاء، ط(1)، 2017، ص:5.

[4]_سورة المائدة، الآية: 111.

والكشف يتمثل في كشف حجاب من خلال القيام بالطاعات والعبادات مثل رؤية يوسف الصادقة فالصوفي في دائم العبادة ودائم التقوى فلا يجعل أمراً يقف في طريق توبته ومحبته لله تعالى.

والكشف هو أمانة حسب الشيخ الأكبر، وإذا كان أمانة حكم عليك الأمر الإلهي بأدائها وردها وهذا باب صعب جداً على العارف يحتاج إلى حفظ ومراعاة فإنه ليس بينه وبين الكذب حد إلا حجاب واحد وكذلك الخيانة ليس بينه وبينها حد إلا حجاب واحد ومراعاة الحد تحول بين الخيانة والكذب.[1]

فالخيال يحتاج إلى مساعدة قوى النفس فالمعرفة الكشفية تكون برفع الحجاب عن العارفين بحيث يرى العارف الجلال والكمال والجمال الإلهي فهو طريق وعرف لا يصله إلا من صبر وعزم على ذلك.

إن الانتقال من الكشف الحسي إلى الكشف الخيالي هو بمعنى ما حصول العارف على علم لم يكن لدية قبل التجلي، وهو علم لم يكن يجرؤ من قبل على نسبته إلى الحق، إنه ينسب إلى الله منه أمرا لم يكن قبل ذلك يجرؤ على نسبته إلى الله سبحانه، قبل التجلي الإلهي يحصل العارف على العلم على قدر الاختيار الإلهي والآن يحصل عليه بالكشف الخيالي في الإخبار يقوم الإيمان من غير تحقيق للمعاني، وفي التجلي يكون الإيمان مع تحقيق المعاني التحقق مع الكشف والتجلي، والإيمان يكون مع الخير والمعلومات التي تحصل بالكشف هي أيضا إيمانية.[2]

فعن طريق الكشف الخيالي يحصل العارف على بعض الحقائق الإيمانية وتنكشف للعارف الكثير من الأسرار وهذا نتيجة جهد ومثابرة كبيرة منه للوصول إلى هذه المرتبة الكشفية.

لكن التجلي نفسه لا يكون بلا حجاب، فهناك كشف يتجلى بين حاجبين وحجاب يتجلى بين كشفين كما أن هناك تجليا مفردًا وتجليًا منفردًا، الأول لا يكون في المظهر والثاني يكون في المظهر، ويضاف إلى ذلك التجلي الذاتي المطلق والتجلي الذي يقع بين طرفين وهذا الأخير يكون في البنية، في حين أن الأول هو

---

[1]_ابن عربي، الفتوحات المكية، ج4، ص :188.

[2]_الصادقي أحمد، إشكالية العقل والوجود في فكر ابن عربي، المرجع السابق، ص :520.

التجلي الذاتي المنزه عن الأضداد هذا يعني أن التجلي الذاتي مطلق غير أن حكم هذا التجلي مختلف بإختلاف الأوصاف التي يتجلى فيها وهو واحد.[1]

ويرى ابن عربي أن الكشف قد يكون في المظهر أو خارج عن المظهر أي في الذات كل من التجلي والخيال والكشف مرتبط ببعضه ولا يمكن فصله بأي صفة كانت لأنهم لهم وظيفة معرفية.

الخيال والكشف والتجلي لهم وظيفة أنطو معرفية، إن الخيال حضرة ذاتية من جهة، وقوة إدراكية من جهة ثانية، فهو من جهة، يأخذ طابعًا معرفيًا ويتمثل هذا في تأمل تجليات الإله المخلوق في الاعتقادات وتخيل الأسماء الإلهية من جهة ثانية، يأخذ طابعًا كونيًا أي الاتجاه نحو اعتبار العالم كله خيالاً في خيال وإدراكه كالتجليات الإلهية قوة خلاقة تظهر المعقولات في صور المحسوسات .«فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال». ومنه فإن الخيال عند ابن عربي كالعقل لا يمكن أن يكون دون حس ويكون بتأمل المخلوقات فها كالحلقة الواحدة التي لا يمكن فصلها.

وقد رأى ابن عربي في هذا الكشف للصوفية أنه تنزل عليهم الملائكة ويشاهدون الله ويسمعون الصوت ويأتيهم الوحي مكتوبا ورأى أن قلوب الأولياء تنكشف عنها الحجب فيشاهدون الجنة وما فيها والنار وما فيها تماما كما حدث للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.[2]

ويبين الصوفية أن الحق تعالى سهل للمتصوفة هذا الطريق وجعلهم يتميزون بشيء من الكشف لكنهم تعرضوا في ذلك إلى الكثير من الانتقادات والاعتراضات عن أهل الفقه والدين.

فإن وصول الأولياء إلى العالم بأحوال السموات يصل الأولياء إلى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم، كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار، وبحكم الإرث لرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار في

---

[1]_المرجع السابق ، ص:521.

[2]_عبد الخالق عبد الرحمان، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط(2)، د(س)، ص:180.

صلاة الكسوف ورأى في النار عمر بن لحى الذي سيب السوائب وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت، فلم يترك ابن عربي صورة من صور الوحي الإلهي الذي يوحى به للرسل إلا وأثبت مثيله.[1]

ومنه نستنتج ان ابن عربي اثبت بالكشف الصوفي أمور تخص الأنبياء والرسل وهذا لأنهم سلكوا طريق وعر وصعب وشائك كشف حجب الاسرار الاهية .

[1]_المرجع السابق، ص :181.

الفصل الثالث : حقيقة المعراج الروحي في تجربة ابن عربي .

المبحث الأول : رحلة المعراج النبوي .

المبحث الثاني : السفر ورمزيته في فلسفة ابن عربي .

المبحث الثالث : الرمزية والرؤيا في المعراج الصوفي .

المبحث الأول : رحلة المعراج النبوي .

يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل البشر وأعظمهم خلقا ولقد أرسله الله تعالى بأن يكون خاتم النبيين والمرسلين فأرسل الله تعالى معه منهجا ربانيا كاملا يلبي حاجات الروح و الجسد و العقل فلقد كان الرسول عليه أفضل السلام أسوة في تطبيق دين الله .

ومنه فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يوجد بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين ، وأجود الناس كفا ، كما يعتبر أوسع الناس صدرا ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه . [1]

ومنه من مكارم أخلاقه عليه الصلاة والسلام أنه يعتبر أعلم الناس لأن العلم في المقدمة فلقد علمه الله تعالى قبل جميع الناس كما يعتبر أفقه الناس وأذكاهم وتميز أيضا بزهده في الدنيا وهذا من أجل تجنب الملذات وله سلوك الاستقامة ضد الجور و الظلم .

كما كان يعتبر أسخى الناس ، وأحلم الناس ، وأشد حياء من العذراء في خدرها لا يثبت بصره في وجه أحد ، كما أنه لا ينتقم لنفسه ، ولا يغضب ، ومن أخلاقه عليه الصلاة و السلام أنه لم يعب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإن لم يشتهه تركه ، وكان أشد الناس تواضعا يجيب متن دعاه فقير أو دنيء أو شريف وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم لا يحقر فقير ولا يهاب ملكا لملكه . [2]

كل هذه الصفات و الأخلاق تجعل منه قامة عظيمة وكبرى وتقربه من الناس وتحببهم فيه لأنه كان يعطف عليهم دائما فلا يفرق بين غني أو فقير .

---

[1] _المقدسي أبي محمد عبد الغني عبد الواحد ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، تح :الشايع خالد بن عبد الرحمان بن محمد ، دار بلنسية ، ط(2) ، 2001 ،ص: 141 .

[2] _ المرجع نفسه ، ص: 156 .

وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع وقد آتاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض كلها فأبى أن يأخذ ها واختار الآخرة صلى الله عليه وسلم ، وكان يكثر الذكر ويقلل اللغو و يطيل الصلاة ويقصر الخطبة ومن أخلاقه أنه كثير البشر تبسما . [1]

ومنه فإن نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تأتي هكذا فقط بل كانت رؤية منامية حتى قبل أن يولد تخبرهم أنهم سوف يبشرون بخير خلق الله .

فلقد كان يأتي أمه آمنة في المنام رؤية تخبرها بأنها حامل بسيد هذه الأمة يا آمنة فإذا ولد فأعيذ به بالواحد الأحد من شر حاسد ، وسميه محمدا .[2]

وكان اسمه رمزا للحمد و الشكر ورمزا للكرامة وحسن الخلق فهو من أعظم خلق الله

فكانت هذه الرؤية حميدة فأم موسى عليه السلام جاءتها الرؤيا بإلقاء إبنها في اليم ، فآمنت بها وعملت بوحييها ، ويوسف الصديق عليه السلام قد رأى في المنام ، أن أحد عشر كوكبا و الشمس والقمر يسجدون له ، وتحققت رؤياه بعد أن قصصها على أبيه ، وبعد أن أضاعه إخوته وبعد أن صار في مصر الآمر الناهي في السنوات العجاف . [3]

وإن هذه الرؤى ما كانت لتدل إلا على أمور هامة في حياة أصحابها وأن محمد هو الحامل للرسالة السماوية وأوحى لأمه بأن تدعوه بهذا الاسم .

ولم تكن حادثة المعراج و الإسراء مجرد حلم أو تخيل بل كان محمد صلى الله عليه وسلم يقضا بجسده وروحه ، وهنا تكمن المعجزة الإلهية فلو كان الأمر حلما أو تخيلا لما كانت حادثة الإسراء و المعراج فالإعجاز يتجلى في نقل النبي صلى الله علسه وسلم من بيته إلى المسجد الحرام ومن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما يتجلى معراج النبي صلى الله عليه وسلم في معراجه من الأرض إلى السموات العلا إلى عالم آخر ،

---

[1] _المرجع السابق ، ص: 160 .

[2] _الزين عاطف سميح ، خاتم النبين محمد صلى اله عليه وسلم ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، د (ط)، د (س) ، ص: 183

[3] _المرجع نفسه ، ص: 184 .

حيث وهب الله له صفات الملائكة ، ومن دلائل قدرته هذه الرحلة الجسدية الروحية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى يرى عجائب صنع الله . [1]

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يطلب أي جزاء في سبيل مالقي به من ضرر و أذى في نفسه أو أهله لأنه كان زاهدا في الأرض ومتاعها و ملذاتها وكان همه هو نشر الدعوة فقد جاهد في سبيلها وكانت غايته هو نشر الإسلام و القضاء على عبادة الأصنام .

إن حدث المعراج النبوي يعتبر حدثا ضخما من أحداث الدعوة الإسلامية ، سبقته البعثة وجاءت بعد الهجرة ، الأحداث الثلاثة التي تعرضت لها الدعوة الإسلامية ، حدث بعثة النبي حادث الإسراء ، حادث الهجرة . [2]

ومن فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعث على فترة من الرسل وبعث بدين خاتم وجامع يشمل الزمان و المكان كله.

أكد علماء الدين أن من أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم من العروج به إلى السموات السبع فما فوقها ، والتي عايش فيها أسعد اللحظات حينما تشرف بلقاء الله ، والوقوف بين يديه ومناجاته لتتصاغر أمام عينيه كل الأهوال التي عايشها وكل المصاعب التي مرت به ، وهناك أوحى الله إلى عبده ما أوحى ، وكان مما أعطاه خواتيم سورة البقرة ، وغفران كبائر الذنوب لأهل التوحيد الذين يخلطوا إيمانهم بالشرك . [3]

فلقد أراد الله تعالى من هذه الرحلة العظيمة أن يقوي نفسه ويقوي عوده من أجل أن يكون مستعدا في مواجهة أهل الشرك و الدفاع عن الإسلام من منتقديه ونشر الدعوة .

---

[1]_صبري عبادة ، مشاهد من معجزة الإسراء و المعراج ، مجلة الحياة الجديدة ، عدد 5625 ، 2011 ، ص: 01 .

[2]_ الشعراوي محمد متولي ، الإسراء و المعراج دار الجيل ، بيروت ، د (ط) ، 2003 ، ص :9 .

[3]_صبري عبادة ، رحلة الإسراء و المعراج أكبر تكريم وأعظم معجزات ، مجلة الحياة الجديدة ، عدد 6320 ، 2013، ص: 1 .

وإن هذه الليلة الكريمة من مميزات شهر رجب إنها في ليلة 27 رجب ،إن الإسراء والمعراج كان تفريجا لمحن وأحزان الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد موت عمه أبي طالب عندما اشتد عليه الحزن رفعه الله إلى السماوات ، حيث أراه عز وجل من آياته الكبرى ملا يعد ولا يحصى .[1]

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج لدى النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة تفريج له عن حزنه والتخفيف عنه وتقوية قلبه لتحمل ما سوف يحل به من مصائب ورؤية عجائب خلقه تعالى .

بينما الرسول صلى الله عليه وسلم في الحطيم ، مضطجعا بين النائم واليقظان فسمع قائلا

يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين فجاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يروه حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم و لا تنام قلوبهم . [2]

فلقد كان يوحى للنبي عليه السلام أنه هو سيد الخلق وتكررت هذه الرؤية عدة مرات ولكن ليلة المعراج رأى ما يعجز اللسان عن قوله ووصفه وكانت هذه الرؤية لتقوية عوده على مواجهة المشركين والوقوف ضدهم .

إن الإسراء تلك الرحلة الأرضية التي تمت بقدرة الله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في سرعة تتجاوز الخيال، وقال تعالى : "**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**" [3]. فقد أراد الله تعالى أن يريه من آياته الكبرى حتى يقوي قلبه ويصلب عوده وتشتد إرادته في مواجهة الكفر بأنواعه كما فعل الله تعالى مع موسى عليه السلام حينما أراد ببعثه إلى فرعون أراه من آياته ليقوي قلبه فلا يخاف فرعون ولا يهتز أمامه .[4]

---

[1] _المرجع السابق، ص: 1 .

[2] _ابن طرهوني محمد بن رزق ، الإسراء والمعراج ، دار فواز المدينة المنورة ، د(ط) ، 1412 ، ص: 1 .

[3] _ سورة الإسراء ، الآية: 1 .

[4] _صبري عبادة، رحلة الإسراء و المعراج أكبر تكريم وأعظم المعجزات ، المرجع السابق ، ص :1 .

وإسراء النبي صلى الله عليه وسلم هي استضافة في رحاب الله عز وجل وملكه والسبب في ذلك أن النبي حمل دعوة الرشاد والهداية إلى أهله وأقربائه وقومه يقابلوه بالتكذيب والسوء وقالوا عنه أنه ساحر وشاعر وحادثة الإسراء و المعراج من أعظم المعجزات التي لا يعقل تخيلها .

وأما المعراج فهو الرحلة السماوية والارتفاع و الارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام وقال تعالى : " **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (9) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (13) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (14) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ**" [1]

فالآية تؤكد على العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى وفي الآية قسم وشهادة للنبي أنه بار راشد ونزهه الله تعالى عن كل الأخطاء وبعثه لمواجهة أهل الضلال وهو في غاية الاستقامة والسداد .

ومن معجزات هذه الرحلة الكريمة ما شاهده النبي صلى الله عليه وسلم من الجنة ونعيمها وما أراه جبريل عليه السلام من الكوثر وهو نهر أعطاه الله لنبيه إكراما له حافتاه الحصى الذي في قعره من اللؤلؤ وتربته من السمك ، ومن أهم هذه المشاهد التي رآها أيضا في رحلته امرأة جميلة متبرجة تنادي يا محمد أنظرني أسألك فلم يلتفت إليها قال جبريل تلك الدنيا إذا أجبتها اختارت أمتك الدنيا على الآخرة وأما الشيء الذي ناداك من جانب الطريق إبليس . [2]

---

[1]_سورة النجم الآية : 1 _ 18

[2]_صبري عبادة ، رحلة الإسراء و المعراج أكبر تكريم وأعظم المعجزات ،المرجع السابق ، ص :2 .

ولقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في مشاهد من الأهل الجنة بهدف ترغيب في فعل الخير و الالتزام بالطاعات وشاهد مشاهد من أهل النار و الهدف منها التخويف و الترهيب من الوقوع في المحظورات مثل الذين يأكلون أموال اليتامى ومن لم يدفع الزكاة و أيضا حذر من الزنا ومن الكبائر الأخرى .

عند نزول جبريل غسل صدر الرسول بماء زمزم ،ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمان فأفرغه في صدره ثم أطبقه ، فخرج به إلى السماء الدنيا فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخزائن السماء افتح ففتحت ، وعلى عن السماء الدنيا فإذا رجل على يمينه اسودة ، وعلى يساره اسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فسأل الرسول من هذا قال جبريل آدم و الأسودة على يمينه وشماله نسم بنيه ، فأهل اليمين فهم أهل الجنة ، والأسودة عن شماله أهل النار. [1]

عند عروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات السبع اتضح له الكثير من الحقائق والمعارف ورأى عذاب القيامة من أهل الشمال .

ثم عرج به إلى السماء الثانية و أمرها جبريل أن تفتح ففتحت فالتقى فيهما يحي وعيسى عليهما السلام فسلم عليهما وهما ابنا خالة ثم عرج به إلى السماء الثالثة فالتقى بسيدنا يوسف عليه السلام قال سلمت عليه وقال له مرحبا بك من أخ ونبي ، ثم السماء الرابعة فالتقى إدريس عليه السلام ، ثم الخامسة فرأى هارون عليه السلام وأيضا هو رحب به ، و السماء السادسة التقى موسى عليه السلام ولما جاوزه النبي بكى سأل عن السبب قال هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر وأفضل مما يدخل من أمتي ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فرأى سيدنا إبراهيم عليه السلام فرحب به من ابن ونبي . [2]

فلقد التقى النبي عليه الصلاة و السلام بكل الأنبياء و الرسل في هذه الرحلة واطلع على أسرار الكون والخلق وحذر خلقه من عذاب يوم القيامة نظرا لما صادفه في هذه الرحلة التي كانت بمثابة حلم كسرعة البرق .

---

[1] _الألباني محمد ناصر الدين ، الإسراء و المعراج المكتبة الإسلامية ، الأردن ، ط (1) ، 2000 ، ص: 9 .

[2] _المرجع نفسه ، ص: 9 .

ولقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في معراجه مشاهدة من أهل الجنة وذلك بهدف الترغيب في عمل الخير و الالتزام بالطاعات فقد مر عليه السلام على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، وكلما حصدوا عاد كما كان فسأل جبريل قال : هم المجاهدون تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف ، ورأى رجلا منغمسا في النور ممسكا بساق العرش سأل جبريل قال: هذا رجل من أمتك لسانه رطب بذكر الله ، فهذا مشهد العابد الذاكر الذي يتجنب الغيبة و النميمة ، ورأى قصر ا من ذهب قيل له أنه لفتى من قريش لعمر بن الخطاب [1] .

فلقد شاهد صلى الله عليه وسلم كل الأحداث و الأمور من ما يحبه الله تعالى وما ينهى عنه لكي يحذر أمته من ما ينتظرنا في تلك الدار .

وقد شاهد أيضا مشاهد من أهل النار وذلك للتنفير من عمل الشر و الابتعاد عن المحرمات و المحظورات فقد مر عليه الصلاة و السلام على قوم مشارفهم كالإبل يلتقمون جمرا ، سأل جبريل عنهم قيل من يأكلون أموال اليتامى كما مر عليه الصلاة والسلام على قوم على أقبالهم وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل و الأنعام ويأكلون الزقوم قيل هم الذين لا يؤدون الزكاة ، ومر أيضا على قوم بين أيديهم لحم صالح في قدر وخبيث في قدر آخر فجعلوا يأكلون من اللحم النيئ الخبيث ويدعون الصالح الطيب ، قال له جبريل هذا رجل من أمتك تكون لديه امرأة حلال طيبة فيأتي المرأة الخبيثة . [2]

فالإنسان الصالح هو من يقتدي بما نهى عنه النبي ويأتي ما أمره ولكن النبي عليه السلام عندما ذكر عن ما رأى لقي التكذيب و اتهامه بشائع الأعمال وأكبرهما من أهل قريش .

---

[1]_ صبري عباس ، مشاهد من معجزة الإسراء و المعراج ، المرجع السابق ، ص: 2 .

[2]_المرجع نفسه ، ص: 3 .

ورأى امرأة تترك زوجها حلالها فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح ، وهذا مشهد يمثل تنفير الزنا وللتنفير من الخيانة الزوجية . [1]

وحذر النبي عليه أفضل السلام و التسليم من هذا الفعل الشنيع الذي يحط من قدر المرأة وهو الزنا ونهي عن الخيانة الزوجية وأكد على عقابهم عقابا كبيرا يوم القيامة .

كما كان هناك اختلاف إن كان الإسراء في اليقظة أو في المنام والراجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك فراشه في بيت أم هاني وذهب إلى المسجد فلما كان في الحجر عند البيت بين النائم و اليقظان أسري به ومن ثم عرج به إلى السماوات وفراشه لم يبرد وفي هذه الليلة تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين العظيم وهو أنه دين الفطرة ، فأتي بإناء من خمر وآخر من لبن ، فأخذ اللبن فقيل هي الفطرة التي أتيت عليها أمتك . [2]

وهذا يدل على أن المعجزات وقدرة الله تعالى سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى ومن عظائم قدرته هذه الرحلة التي كانت كسرعة البرق .

وفي المعراج شرعت الصلوات الخمس وشرعت في السماء لتكون معراجا يرقى بالناس كما ولدت بهم شهوات النفس . [3]

وفي هذا المعراج شرعت الصلوات الخمس فقد فرضت أكثر من هذا ولكن الرسول أراد أن يخفف عن عباده إلا أن تركها عز وجل خمس .

---

[1] _ المرجع السابق، ص: 3 .

[2] _ صبري عبادة ، مشاهد من معجزة الإسراء و المعراج ، المرجع السابق ، ص :4 .

[3] _ المرجع نفسه ، ص: 4 .

و الله سبحانه وتعالى كان في إعداده للجزيرة العربية لتستقبل الإسلام بأن جعلها جزيرة أمية فلو قال قائل كيف تعد أمة أمية لهذه الرسالة ، نقول نعم لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد الانطلاقة تنطلق من أمة متحضرة . [1]

وهذا يدل أن الله سبحانه وتعالى بعث في هذه الأمة الأمية رسولا يثقفهم ويعلمهم أصول دينهم وزوده بأعظم رحلة لتكون عبرة لكل الناس .

وعندما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل فصلى فيه ركعتين وكل النبيين عليهم السلام في ليلة مباركة صعد فيها إلى أعلى عليين وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأحد المساجد الثلاث التي تشد لها الرحال . [2]

فعندما أسري بالنبي من المسجد الحرام إلى الأقصى صلى النبي بالأنبياء فيه وهناك ثلاثة ملائكة واحد موكل بالكعبة وآخر موكل بمسجده وآخر بالأقصى .

فلقد حاول بعض العلماء أن يفسروا هذه الحادثة تفسيرا يتفق مع العلم الحديث وقاموا بمقارنة بين هذه المعجزة وبين ما يجري مع الناس فقالوا أن الإنسان تمكن من إطلاق الأقمار الصناعية و الصواريخ العابرة للقارات كما تمكن من الوصول إلى القمر فيجب أن يقولوا أن حادثة الإسراء والمعراج هي حادثة خارقة للعادة وهي معجزة خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم فهي لا تخضع لأي قانون علمي[3] لقوله تعالى : " **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا (33) لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**" . [4]

---

[1]_ الشعراوي محمد متولي ، الإنسان الكامل محمد صلى الله عليه وسلم ، دار الندوة ، مصر ، د (ط) ، د(س)، ص: 90 .

[2]_ صبري عباس ، رحلة الإسراء و المعراج أكبر تكريم وأعظم المعجزات ، المرجع السابق ، ص: 4 .

[3]_ صبري عبادة ، مشاهد من معجزة الإسراء و المعراج المرجع السابق ، ص: 1 .

[4]_ سورة الرحمان ، الآية: 33 .

أي أن إسراء الرسول هي أكبر معجزة لا يمكن أن نجد مثلها فإطلاق الأقمار الصناعية هي حادثة علمية يمكن حصولها أما معراج النبي فهو معراج روحي .

أما عن مسألة الوحي فقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنزل عليه من الله في غار حراء قريبا من جبل أبي قبيس بمكة المكرمة فسمع صوتا يقول : " **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)**" . [1]

فلقد زود الله تعالى رسوله الكريم بالكثير من المعجزات و المعارف ليكون خير رسول لخير أمة فمن أمة أمية أنجز شعبا متطورا بفضل الرسالة و الإسلام الكريم فنزول سورة العلق أيضا من المعجزات التي يستحيل إنكارها .

[1]_ سورة العلق ، الآية : 1-2.

المبحث الثاني : السفر و رمزيته في فلسفة ابن عربي

إن المعرفة والتصوف شاسع وواسع فهو نتيجة سفر وتعب بقصد بلوغ الحقيقة وهذا ما جعل من ابن عربي يكثر البحث في هذا المجال .

وضع ابن عربي لنفسه مصطلحا محددا في نظام فكري ، أو في حالة من مضمون أعلى إلى مضمون أدنى ، كذلك حفلت فلسفة ابن عربي الصوفي بالنظريات التي صبغت التصوف الفلسفي بصبغتها كنظرية الكمال ، والمطاع ، والحقيقة المحمدية ، والخيال ، والعقل الأول ، و السفر . [1]

اعتمد ابن عربي في فلسفته الصوفية على إخماد الشهوات والرغبات للوصول إلى العلم الباطن لتحصيل التجليات الإلهية .

إن التوجه إلى الله أو السفر إليه يقطعه الصوفي بقصد الوصول إلى غايته في الانفتاح على الأزلية و الأبدية و الانفصال عن الزمانية و المكانية . [2]

وهذه الرحلة تبدأ بمفارقة الجسد معنويا وإخماد شهوات النفس من أجل الوصول إلى الباطن .

للسفر أهمية كبيرة حيث أنه كان دائما مسلكا للعلماء ثم إن التاريخ يثبت أن السفر يشكل محطة جوهرية ومصيرية في حياة العلماء في مسار فكرهم مثل : كونفوشيوس ، وسقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، فهؤلاء نماذج من فلاسفة سافروا وأبدعوا كثيرا ما كان السفر حلا لمسائل فكرية غيرت حياة الفيلسوف مثل : الذي حدث مع الغزالي حيث شكل السفر حلا لمعضلة الشكية كما أن الترحال أنتج أدبا غزيرا سواء في التراث الإسلامي أو غيره . [3]

---

[1] _ ياسين إبراهيم المدخل إلى التصوف الفلسفي ، منتدى الأزبكية، مصر ، د (ط) ، 2002، ص: 62 .

[2] _ المرجع نفسه ، ص: 113 .

[3] _ خمسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط(1) ، 2010 ، ص: 129 .

ومنه فإن السفر ساهم في ظهور العديد من الأفكار و المعارف وكان هذا الترحال لدى أغلب الفلاسفة و المتصوفة غرضه كشف الأسرار و الاطلاع على مختلف المعارف .

إن حياة ابن عربي في ذاتها جسدت أهمية السفر في طلب العلم و في البحث عن الفتوحات الربانية ولقد كان سفره في البداية حركة تنتقل بذهابه في مناطق الغرب ثم نحو الشرق . [1]

ولقد اهتم ابن عربي بالسفر لكسب المعارف ولكن له أيضا أسفار روحية

ولكثرة أسفاره استطاع ابن عربي الاطلاع على التراث الصوفي السابق ، واستطاع أن يبلور الكثير من المفاهيم و التصورات التي كانت عند سابقيه متناثرة ويشوبها الغموض ليوفر لنا عن طريق كتبه الاطلاع على معظم الجوانب الغائبة عنا في أفكار المتصوفة قبله . [2]

السفر يكون بمجاهدة النفس وهي فطم النفس عن المألوف وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات ، وخرق عوائدها في جميع الحالات ومرجعها إلى ثلاث : ألا تأكل عند الفاقة ، و لا تتم إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة . [3]

إن المجاهدة والرياضة البدنية عند الصوفي وتمام المشاهدة هو نهاية التعب وحصول السفر فهو يكون عن طريق مشقة فعند الصوفي لا حلاوة إلا بعد مشقة وعناء كبير والمجاهدة تكون بدوام الطاعات و الإيمان .

و السفر سفران بالبدن وسفر بالقلب ، فأما السفر بالبدن فانتقاله من مكان إلى مكان آخر وأما سفر القلب فهو ارتقاء القلب بالتدرج في الصفات المحمودة ، وسفر البدن يكون في الأرض .

---

[1] _المرجع السابق، ص: 130 .

[2] _ ابن عربي ، كتاب الجلالة ، رسائل ابن عربي ، المصدر السابق ، ص: 41 .

[3] _بن عجيبة عبد الله أحمد ، معراج التشوق لحقائق التصوف تح :خيالي عبد المجيد ،مركز التراث ، المغرب ، د (ط) ، 1224 هـ ، ص: 38 .

و أما سفر القلب يكون إلى السماء . [1]

ومنه فإن السفر هو على قسمين بالبدن يكون بالترحال للبحث عن المعارف من مكان إلى آخر وهو في الأرض فقط بحضور القلب أما السفر القلبي يكون بتنقله في عالم الغيب بهدف الكشف و البحث عن الأسرار الإلهية التي هي في نظر الصوفي للخاصة فقط .

وهي عند ابن عربي تقلبا في العالم الأعلى و الأسفل ، يعني انتقال المسافر وتقلبه في مراتب بالرياضات الروحية في العالم الأسفل ، وفي المراتب الروحية في العالم الأعلى . [2]

وسفر الصوفي خروجه من الصفات الدنيئة و التحلي بالصفات الحميدة .

وإن السفر عند ابن عربي هو الحياة و الحياة سفر ، و المعلوم أن الحياة كلها عند ابن عربي إنسان أكبر ، حي عابد ، سائح ، ومنه السفر حقيقة تتعلق بالكل و الكل يتعلق بها ، ومن الأسفار التي أحدثها الإله أنه أنزل القرآن وخص أنبيائه ورسله كلا بسفر وأسفار تتلاءم معه وبعثته ونبوته ، حيث أهبط آدم إلى الأرض ، رفع إدريس عليه السلام ، حمل نوحا في البحر ... أخرج يوسف ، أسرى بلوط ، وأمر موسى بالهجرة ورفع عيسى ، وعرج بمحمد صلى الله عليه وسلم . [3]

كل الحياة عند ابن عربي هي سفر و بحث ومشقة وعناء فحتى الأنبياء و الرسل كانوا يسافرون ويجاهدون في سبيل الدعوة ونشر الحق واخفاء الجهل و الباطل وعبادة الأصنام فعروج محمد صلى الله عليه وسلم كان عبرة في ذلك .

فحتى ابن عربي تحدث عن المعراج :

إن خير الدارين في الفكر فالفكر إلى غاية معراج

---

[1]_ ياسين إبراهيم ، مدخل إلى التصوف الفلسفي ، مرجع سابق ، ص: 115.

[2]_ المرجع السابق ، ص: 116 .

[3]_ خمسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد ،المرجع السابق ، ص: 132 .

فاخرس الفكر ذا كذا وأرصد المطلوب تظفر بكل ما تحتاج .[1]

فالشيخ محي الدين ابن عربي هو يدعو إلى كل بحر فيه مزيد من الفكر و الاطلاع ويحدث على سمو و ارتقاء الروح إلى خالقها .

فالسفر إذن حقيقة قائمة بكل الموجودات وعلى كل المستويات و فأما السفر في العالم العلوي فيتمثل في حركة الأفلاك ودورانها ، وسباحة الكواكب دون سكون ، وأما على المستوى الإنساني في فلسفة ابن عربي الصوفية ، يختصر كل أنواع السفر اختصاره الحضرة الإلهية واختصاره العالم ، فخروجه إلى الوجود سفر ونموه الجسدي سفر ، جريان الدم في عروقه سفر ، حركة أنفاسه سفر ، كلامه الدائم سفر ، وأفكاره سفر ، كما في الرؤية سفر للأبصار . [2]

فالإنسان في فلسفة ابن عربي الصوفية دائم السفر و الترحال إما بفكره أو ببدنه فكلا الاثنين عنده سفر لكشف الحجاب عن المستور عن الذهن ولكل جهد أو مشقة نتيجة في الدنيا وفي الآخرة فحتى جريان الدم في العروق هو سفر .

وسفر القلب يعرف عندما يعرج به إلى السماء لهذا قيل :

أنا القرآن و السبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني .

فِادي عند معلومي مقيم يناجيه وعندكم لساني

فلا تنظر بطرفك نحو جسمي وعد عن التنعم بالمغاني

وغص في بحر ذات الذات تبصر عجائب ما تبدت للعيان

وأسرار تراءت مبهمات مسترة بالأرواح المعاني . [3]

---

[1]_ ابن عربي شجون المسجون وفنون المفتون ،تح :حسن سيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط(1)، 2007 ، ص: 148 .

[2]_خمسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد ،المرجع السابق ، ص: 133 .

[3]_ابن عربي الإسراء إلى مقام الأسرى ، تح الحكيم سعاد ، دار ندرة للطباعة ، لبنان ، ط(1)، 1988، ص 58

فالسفر القلبي يكون بالنظر و التمعن في الذات وترك الملذات و التقرب إلى المولى بالطاعات والمجاهدات والرياضات فالصوفي يطغى عليه العشق الإلهي فيتأمل في ملكوت الله .

إن الإنسان في فلسفة ابن عربي دائم السفر في الدنيا وفي الآخرة ، فالفرد يسافر في أطوار المخلوقات إلى أن يتكون دما في أبيه وأمه الذين اجتمعوا من أجله عن قصد لضهوره أو عن غير قصد ثم أخرج إلى الدنيا فانتقل إلى الطفولة ثم الصبا ثم الشباب فالكهولة ثم الشيخوخة فالهرم وهو أرذل العمر ومنه على البرزخ وفي البرزخ يسافر إلى الحشر ثم الجنة أو النار وفي الجنة سفر دائم كما في النار سفر دائم بين الصعود و الهبوط وألم متواصل بذوق العذاب . لقوله تعلى : "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** " . [1]

كل حياة الإنسان عبارة عن أسفار وترحال فالصلاة سفر للتقرب من الله ونتيجة ذلك الحصول على الجنة وهي أيضا سفر لأعمال العبد و عباداته و النار سفر وحتى حياة الإنسان منذ ولادته وتطوره سفر لمعرفة الله والاتصال به لابد من مجاهدة النفس من أجل السفر لقربه أي الفوز بالفضيلة .

وإن السفر عند ابن عربي يرمز للحركة يجب أن تكون نحو الله ، في الله وبالله ليحقق به الإنسان ما وعده به ربه من وصال وقرب وكمال ، فكل شيء مسافر إلى ما هو ميسر له ، وفي الإنسان أنواع من السفر ذي حركات مختلفة ومتعددة ، إما ذاتية أو خارجية ، إرادية ولا إرادية ، أو اختيارية و اضطرارية ، مستقيمة ودائرية ، مرتبة ومضطربة ، كلها سفر في سفر ، من حركة الجسم وسكون جريان الدم وإلى النفس نوم اليقظة أحلام ورؤى أفراح واحزان ضحك وبكاء مشي سيركل هذا سفر ، بل كل الوجود سفر لأنه في حركة مستمرة . [2]

كما يرتبط السفر لدى ابن عربي أيضا بالحركة فكل حركة أو فعل هو سفر عن شيء معين على اعتبار أن الكون في ديمومة مستمرة لا تعرف الانقطاع إطلاقا فكل حركة تكشف عن حقيقة ما .

---

[1]_ سورة النساء ، الآية : 56 .

[2]_خمسي ساعد ، ابن عربي المسافر العائد ،المرجع السابق ، ص: 153.

لكن تبدو أن فكرة السفر عند ابن عربي هي أشمل وأعمق وأبعد مدى من فكرة التغير ، ثم إن الحركة قد تكون متعلقة أكثر بالأشياء المادية ، بينما السفر له هذا البعد المسفر عن شيء ما أو الكاشف لحقيقة ما ، إلى درجة يمكن القول فيها أن الحركة جزء من السفر ، وأن السفر أعم وأوسع وأعمق مدلولا من الحركة سواء الإرادية أو الاضطرارية ، ومن أبرز الحركات وأكثرها سرعة في التقرب إلى الله ، وفي تجسيد عبودية كل الكائنات الصلاة . [1]

كل فعل سواء إرادي أو لا هو عبارة عن سفر ما لشيء ما في كشف الحقيقة فالصلاة مثلا هي عبارة عن حركة جسدية ولكن غايتها الأسمى هي التقرب الروحي لله تعالى .

يرتبط مفهوم الصلاة عند ابن عربي بحركة عشق هي سفر مفعم بالحب كشرط أساسي لأجل تحقيق معنى الصلاة في التقرب إلى الله تعالى وفي التقرب لله من العبد الذي حقق شرط القربة ، لقوله تعالى : " **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** " . [2]

فالصلاة سفر في البر و العمل والعزم وزوال الغم وتحقيق الوصال والقرب من الله تعالى إن اكتملت شروطها بالخشوع والعزم عليها يضيئ سبيله في تحقيق الوصال .

أما عن طريق السفر الخاص بالجسد وبالحركات فيعبر ابن عربي بالحركات الطقوسية للصلاة من قيام وركوع وقيام من الركوع وجلوس بعد السجود ، من شكلها المعلل و المأمور به شرعا ، وفي إقامة الصلاة يرى ابن عربي أن المصلي يقوم مقام الإله حينا ومقام البشر المنزه لربه حينا آخر وهو في ذلك ينتقل ويرحل من مقام إلى مقام ، فعند الركوع سفر من صفة القيومية إلى صفة العظمة ويقر بلسانه قائلا : " سبحان الله العظيم " ثم

---

[1] _المرجع السابق ، ص: 154.

[2] _ سورة ق ، الآية : 16 .

عند القيام من الركوع يرحل المصلي إلى صفة القيومية و لأنه يقول : " سمع الله لمن حمده " نيابة عن الله مقتديا بالرسول الذي قال أنها نيابة عن الله و أمر المصلين بأن يقولوا بعد سماعهم هذه العبارة ربنا ولك الحمد".[1]

فالصلاة هي عبارة عن السفر من خلال قراءة كلام الله عز وجل واطاعة أوامره من خلال قراءة الفاتحة التي لا تخلو أي صلاة منها كما أنها مناجاة بين الله وعبده وهي سفر لأنها حياة وعبادة وإنارة للعبد في دربه .

إن الآيات التي يقراها المصلي بتمعن بإدراك معانيها هي منازل يحل بها ، كما يحل بمنازل أخرى عندما يتلقى الرد الإيجابي ، وهو الذي جعل في الأرض الخليفة وأنزل إليه القرآن ليمثله كتمثيلية للصفات و الأسماء الإلهية ، وهو في ترحال بين هذه المنازل وتلك مسافرا في منازل القول ، من آية إلى آية ، ومسافرا في منازل السمع ، ومسافرا بين منازل القول ومنزل السمع ، كما يتخلل الصلاة تسبيح وتعظيم ، ومن تشبيه وتنزيه ، وعند خروج المصلي من الصلاة يسلم وهو عند ابن عربي سلام وتحية من يعود من سفر يلقيها على أهله.[2]

سفر الصلاة هو سفر حيث ينتقل فيه المصلي من سفر إلى آخر ومن آية إلى أخرى فيها سفر ظاهر وباطن الأول يتمثل في التهيؤ الجسدي والآخر يتمثل في الخشوع ومناجاة العبد لله تعلى فحركات الصلاة فيها عدة رحلات وأسفار ولها عدة منازل .

السفر الذي أشار إليه الشيخ الأكبر لا يصح أن يكون عبارة عن الخلق الجديد ، لأنه لانهاية له ولو كان فإنه لا ينتهي إلى الجنة أو النار كما لا يخفى فيكون محط رحال السعداء في موطن الكثيب وحط رحال الأشقياء في النار ، أو عبارة عن السفر في أنواع الأعمال و الأقوال و الأحوال و الاعتقادات و العلوم بحسب الفطرة ، أو الرؤية أو بهما و السفر الفطري لا يكون إلا في الأحوال و العلوم لا غير ، فالناس مسافرون بالفطرة من حيث أخرجوا من العدم إلى وقت التكليف ومن وقت التكليف، إلى الموت بالرؤية والفطرة . [3]

---

[1]_ خمسي ساعد الرمزية و التأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، مرجع سابق ، ص: 299 .

[2]_ المرجع السابق ، ص: 301 .

[3]_ابن عربي ، الأسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار ، تح : الكيالي عاصم إبراهيم ، دار الكتب العلمية لبنان ، ط(1)، 2004 ، ص : 69 .

حياة الإنسان منذ ميلاده حتى مماته عبارة عن سفر سواء سفر في النمو في حالة الطفولة إلى الشيخوخة أو السفر الفكري وتطور ونمو الأفكار أو كان هذا السفر في الأعمال التي تؤدي إلى الجنة أو غيرها وذلك بحسن الأعمال .

والسفر بالرؤية بعد الموت لا يكون إلا في الأحوال والعلوم ، فإن قلت السفر بالحال والعلم لانهاية له ، و الناس بعد الموت مسافرون في الأحوال والعلوم المكتسبة بالأعمال الدنيوية ، وليس لهم محط عن رحالهم إلا الجنة أو النار ، فالسفر منذ البداية مبني على المشقة و التعب و يحتاج المسافر لما يصلح لتلقي كل عالم في منزله فإنه عندهم صاحب ليلة وينصرف . [1]

وحسن العمل في الدنيا و القيام بالعبادات والطاعات و أوامر الله ونواهيه تجعل بذلك يفوز بالجنة فحتى بعد الموت هناك سفر من حيث أنه يسافر إلى الجنة أو النار وذلك بمكارم الأعمال .

و المسافر عليه أن يعلم ما ينبغي له من الأطعمة وأشربة والأدوية الصالحة لكل ماء وهواء ومنهل حتى لا يقسم ولا يهلك في سفره ، لاختلاف الأهواء والمناهل والحياة لانحراف المزاج وفساده . [2]

لأن السفر فيه جسمي وقلبي فإن السفر عبر الأماكن يتطلب زادا لأن المسافر يكون منهمك في المعرفة و البحث ولا يستطيع تحصيل بعض الأشياء في سفره ولكن أهم ما يجب أن يفهمه أن الخير في الدنيا هو ترك ما فيها واتباع طريق الهداية .

وكثيرا ما تهب قلوب العارفين نفحات إلهية فإن نطقوا بها جعلهم كثير من الناس وردها عليهم أصحاب الأدلة من أهل الظاهر وغاب عن هؤلاء أنه تعالى أعطى أولياءه الكرامات التي هي فرع المعجزات فلابد أن تنطق ألسنتهم بعبارات تعجز العلماء عن فهمها . [3]

---

[1]_ ابن عربي، الأسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من أنوار، المصدر السابق ، ص: 70 .

[2]_ المصدر نفسه ، ص : 71 .

[3]_ ابن عربي ، في ميزان البحث و التحقيق و تح : السندي عبد القادر بن حبيب الله ، دار البخاري ، المدينة ، ط(1)، 1991، ص: 269 .

فالسفر الروحي للصوفي يجعله ينطق بأفكار وكلمات يعجز الإنسان العادي أن يفهمها و يفقهها بشكل عادي بل هي من شأن الخاصة فقط .

فلقد كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأتي جوامع الكلام التي هي مسميات الأسماء وكانت قرة عينه الصلاة (...) كما علمه الله تعالى ما لم يكن يعلم . [1]

فحتى النبي عليه السلام كان له سفر بدني وسفر قلبي الأول في رحلاته وجهاده على الدعوة والثانية كانت من خلال حادثة عروجه إلى سدرة المنتهى ورؤية أسرار الكون و ما عجز عنه الإنسان عجائب خلق الله .

فالتصوف والولاية أمران لا يفترقان وبغير أولياء لا يوجد تصوف إذ الولاية هي أصل التصوف ومنبعه والزاد الذي يحيا به ومنه يستمد دوره في بقاء الولاية واستمرارها ويعتبر ابن عربي خاتم الأولياء .[2]

كما أن النبي عليه السلام هو خاتم الأنبياء فيعتبر ابن عربي خاتم الأولياء وله كرامات لكن كل الأنبياء أولياء وليس كل الأولياء أنبياء .

وجد الصوفية أن لفظ المعراج يصور حركة الترقي ، ويحمل هذا اللفظ معاني عقلية ، كالتدرج في التطهر النفسي من ناحية ، أو التدرج في التحقق من ناحية . [3]

ومن هنا فإن المعراج الصوفي يعني يعرج السالك مع القيام بالمجاهدات والرياضات البدنية فهناك معني يفهمها العامة والخاصة وأخرى لا يفهمها إلا الخاصة فقط من أهل الكشف و المشاهدة .

---

[1]_ابن عربي فصوص الحكم،ج1 ، تح :عفيف أبو العلا ، دار الكتاب العربي لبنان ،، د (س)، ص: 214 .

[2]_ شود كيفيتش علي ، الولاية والنبوة عند ابن عربي ، تر :الحبيب أحمد ، دار القبة الزرقاء ، المغرب ، د(س) ، ص: 19 .

[3]_ابن عربي ، الإسراء إلى مقام الاسرى ، المصدر السابق ، ص : 28 .

المبحث الثالث : الرمز والرؤيا في المعراج الصوفي .

يعتبر ابن عربي هو وراثة لمعراج النبي صلى الله عليه وسلم لكن أول معراج صوفي عرف هو لأبو يزيد البسطامي حيث عرج به إلى السماء السابعة .

أول معراج صوفي واضح هو مما يرويه أبو يزيد البسطامي ، وأنه راية منامية فيقول رأيت في المنام كأني عرجت إلى السماوات قاصدا إلى الله ، لكن معراج البسطامي يخالف معراج النبي صلى الله عليه وسلم وكان البسطامي كلما وصل سماء تبسط له العطايا مغرية له ، وكان يعلم أنه في امتحان ، فلم يكن ينظر الى شيء إجلالا لحرمة الله ، وكان كلما وصل سماء كشفت له من المعالم ، يعرض عن كل شيء ويخاطب ربه قائلا : " مرادي غير ما تعرض علي " ونلاحظ أنه في معراجه لم يلتقي أحد من الأنبياء مثل في المعراج النبوي بل كانت السماء عامرة بالملائكة العباد وكان هؤلاء الملائكة يدعونه للإقامة معهم من أجل عبادة الله وتسبيحه .[1]

بالإضافة إلى المعراج النبوي معراج ابن عربي الصوفي يرى البسطامي أنه عرج به إلى السماء السابعة ويعتبر معراجه أول معراج صوفي وواجهته فيه الكثير من المغريات الالتفات و الركون ولكنه عزف عنها .

وحين وصل أبو يزيد البسطامي إلى السماء السابعة سمع منادي : " يا أبا يزيد قف فإنك وصلت إلى المنتهى " فلم يلتفت لأنه يعرف أن ذلك مجرد امتحان ، فجال في الملكوت ، و جال في الجبروت وقطع حجب بعد حجب حتى انتهى إلى الكرسي ، ثم إلى بحر من نور ، وقطع بحار بعد بحار حتى انتهى إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن ، ولم يلتفت أبو يزيد إلى شيء بل كان يردد دائما : "مرادي في غير ما تعرض علي " فلما ظهر صدق إرادته نادى الرحمان " إلي... إلي ...اجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي " .[2]

---

[1] _ ابن عربي الإسراء إلى مقام الأسرى ، المصدر السابق ، ص: 30 .

[2] _ المصدر نفسه ، ص : 31 .

ومنه يعتبر معراج أبو يزيد البسطامي أول معراج صوفي لأنه عبارة عن رؤية منامية من جهة ولم يبعثه الله تعالى بأي تشريع مثل معراج النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان الهدف منه تحذير الناس من الوقوع في الخطأ و إرشادهم إلى الصواب كما أن الله تعالى هو يفضل الولي يصطفيه بالولاية وخاطب أبو يزيد البسطامي النبي وبلغه السلام .

يدور مذهب ابن عربي في الولاية و الأولياء حول مفاهيم ثلاثة رئيسية هي الوراثة والنيابة والقربة فالوراثة ، وهي وراثة العلم اللدني ، أو إن شئت ، وراثة نوع من المعرفة الإلهية مستمدة من مصدر ما من المصادر النبوية المتعددة والنيابة بمعنى نيابة الولي ، أما مفهوم التوبة فهو يحدد حقيقة الولاية .[1]

ومنه فإن الولاية لدى ابن عربي هي بمثابة ثمرة اجتهاد شخصي وذلك بقوة الذكر وأن كل سفر فهو نتيجة جهد ومراحل ومخاطر وكان المعراج النبوي هو نقطة الارتكاز في التصوف الإسلامي .

وكان معراج ابن عربي في الليل حيث تسقط كل حركة ويتوقف كل سعي . تنام عوالم دنيانا الفانية وتستيقظ أعماقنا لتمد ظلال نورها على ظلمة الأشياء ، تنطلق الأعماق من سجن البدن والزمن ، وترحل في عوالم مشهودة لها ... فإن كان الإنسان ينتمي في النهار إلى الدنيا ، ففي الليل تنتمي الكائنات كلها إلى دنياه الخاصة ، إنه الوقت الذي تخلو فيه الناس بأنفسهم وتسكن إلى جوهر وجودها ، والليل هو أحب الأوقات إلى الصوفي نيام البدن وتهجع النفس فتنفتح الروح على عالم رحب فسيح ، يغمر الصفاء والرضى ساكنيه وزواره[2]

حيث كان معراج ابن عربي في ظلمة الليل حيث يسكن كل شيء ويعم العالم الهدوء فتنطلق روحه إلى عالم يعم فيه الصفاء و السلام .

وفي نوم البدن يرتد الوعي عن عالم المحسوسات ، لحظات في عالم المنام ، وسواء أكان المنام هو اللاوعي أمام أعين الوعي ، أو كان كشف عين البصيرة ، لتقرأ ما هو مدون في غيب الأيام ، أو انفتاح خزانة

---

[1]_شودكيفيتش علي ، الولاية والنبوة عند ابن عربي ، المرجع السابق ، ص : 141 .

[2]_ ابن عربي ، الإسراء ،إلى مقام الأسرى ، المصدر السابق ، ص: 31 .

الذاكرة في تركيبات جديدة أمام الوعي مهما كانت هوية المنام وحقيقته فإنه يظل قسريا مفروضا على النائم ولا خيار له فيه . [1]

ولكن ابن عربي في معراجه هذا الذي وراثة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينقطع عالم المنام عن عالم اليقظة فهو أطاع الله وتقرب إليه فحفظه في المنام .

وهنا في معراج الشيخ رؤية صادقة نوه بها الرسول صلى الله وسلم ، فهو في المنام يوقظ نور وعرفان منام يحي حروفا وينتظر أن تولد في الوجدان . [2]

وفي معراج الولي نجد أيضا الرؤية الصادقة التي ذكرها الرسول وكانت لديه وتميز هو أيضا بصدق الرؤية .

ومعراج الصوفي الولي في رؤيا منامية إلى السماوات السبع فما فوق وسماعه الخطاب الإلهي دون أي تشريع ، هو أحد أنواع الرؤيا الصحيحة . [3] يقول ابن القيم الجوزية ، : " الرؤيا الصحيحة أقسام : منها إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد ، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام ، كما قال عبادة بن الصامت وغيره ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها و ومنها التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه ومنها عروج روحه إلى الله سبحانه وتعالى وخطابه له ومنها دخول الجنة ومشاهدتها وغير ذلك ، فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحية التي هي عند الناس من جنس المحسوسات " . [4]

وهذا يعني أنه كان هناك معراج منامية لبعض الزهاد وعلماء لكن لم يكشف عنها في الكتب وفي التاريخ .

ومنذ البداية يأخذ معراج ابن عربي مكانته كرؤيا منامية خالية من أي تشريع جديد ، لذلك لا يوجد أي مقارنة بينه وبين معراج النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن معراج البدن في اليقظة هو وقف على النبي ولا ذوق للولي أبدا في مقام النبوة ، وإنما يتكلم عن ذلك بقدر ما أعطى من مقام الإرث ، لأنه لا يصح لأحد من

---

[1] _ ابن عربي، الاسراء الى مقام الاسرى، المصدر السابق ، ص : 32 .

[2] _ المصدر نفسه ، ص : 32

[3] _ المصدر نفسه، ص: 32 .

[4] _ ابن الجوزية ، كتاب الروح ، دار الكتب العلمية ، لبنان 1975، ص: 29 .

التابعين دخول مقام النبوة ، وإنما ينظر إليه كما ينظر من هو أسفل الجنة إلى من هو في أعلى العليين ، وكما ينظر أهل الأرض إلى كوكب السماء ، ويروي أن البسطامي فتح له من مقام النبوة قدر خرم الإبرة تجليا لا دخولا[1].

ومنه فإن معراج البدن هو خصوصية معراج النبي أما العروج في المنام فهو للصوفي الذي يكتسبه عن طريق الوراثة .

فالمعراج الحسي التشريعي خصوصية نبوية ، و المعراج المنامي الروحي العرفاني إرث يحظى به الولي التابع المحمدي وهو لا يحق للنبي أبدا ، وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ، فلا يمكن أن يستقلوا بالأخذ عن الله أبدا . [2]

فالمتصوفة استقو حقيقة معراجهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن معراجه حتى بالبدن من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى و أتى بتشريع من الله عز وجل لكن معراج الصوفي ليس سوى رؤية منامية للصوفي و لم يأتي بأي تشريع من الله عز وجل ولا يقارن به فهو مثل من أعلى الجنة وأسفل الجنة .

وهكذا تتميز المراتب فالأولياء فضلوا العوالم بالعرفان ، انهم تراجعوا عن مداناة سلسلة طاهرة مطهرة معصومة ، ضمانة للناس ، سلسلة ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فلا شريعة بعده ولا نبي ، واتضحت الصورة الكاملة للمعراج مع ابن عربي الذي كان له عدة معارج نبوية .[3] وهكذا نجد ابن عربي وضح معالم معراجه وأن معراجه كان تأثر بخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وأنه استقى سبل معراجه منه وكان يرى ابن عربي أنه حذا حذو خاتم الأولياء لكن لا يساوي بين المعراج النبوي ومعراج الولي ،

ابن عربي يرى أن واجب كل عاقل أن يعلم أن السفر مبني على المشقة وشظف العيش ، و المحن وركوب الأخطار و الأهوال فمن المحال أن يصح فيه نعيم أو لذة فإن المياه التي يمر بها الصوفي مختلفة الطعم والأهوية مختلفة التصريف ، وأهل كل نهلة يخالف طبع أهل النهلة الأخرى . [4]

---

[1] _ ابن عربي ،الإسراء إلى مقام الأسرى، المصدر السابق ، ص: 33 .

[2] _ المصدر نفسه ، ص: 33 .

[3] _ ابن عربي، الاسراء الى مقام الاسرى، المصدر السابق ، ص: 33 .

[4] _ شودكوفيتش علي ، الولاية النبوية عند ابن عربي ، المرجع السابق ، ص: 145 .

وهنا يبين ابن عربي أن السفر والمعراج الصوفي لا يصل إليه من خلال الكثير من المجاهدات و العبادات التي يقوم بها المتصوف من أجل التقرب إلى المولى فينال بعض الكرامات و الهبات تميزه عن العامة لكن لا تقارن بمعجزات الأنبياء .

لقد اهتم الصوفية منذ القديم باكتشاف المعنى الخفي وراء الحروف الواردة في القرآن الكريم ، قد ألهمتهم بتفسيرات مجازية مدهشة ، ومعظم رؤوس الصوفية قد أعاروا هذا الموضوع أهمية في أقصى المناطق من العالم الإسلامي ، فقد ظهرت مخطوطات بها تأملات حول رمزية الحروف والمعني ومنها طور الصوفية لغتهم في سرية فكانوا يريدون أن يبلغوا من درجة الفهم أعماقهم كي يفسروا الكلمة الإلهية تفسيرا رمزيا سريا . [1]

تعتبر اللغة الصوفية شديدة العمق فلم يفهمها إلا الخاصة فلقد قاموا معظم الصوفية بترجمة معاني القرآن و الأخذ كذلك من السيرة المحمدية لنبينا الكريم .

تبدأ المرحلة الأولى في رمزية المعراج بخروج السالك من بلاد الأندلس إلى بلاد المقدس ، وقد اتخذ الإسلام جودا ، و المجاهدة مهدا ، و التوكل زادا وهذه المرحلة بمثابة التجربة التي سوف تؤهله للإسراء ، ويلتقي بفتى روحاني الذات ، رباني الصفات ، دار بينهما حوار بين له أن عليه التخلص من بعض العناصر ، لكي تتسنى له معرفة حقيقة نفسه وهي رمز للتخلص من العناصر الغيرية كالتراب و النار و الهواء و الماء ، ثم التقى بعين نادته إلى أين ؟ فأجاب : إلى الأمير : إلى الأمير وكانت له بمثابة المعين المساعد على تجاوز هذه المرحلة بعدما ساعده الفتى وهو القرآن في الكشف عما يجب تجاوزه وأعطته الأوصاف الملائمة التي من خلالها يدرك مراده . [2]

فكان المقصود من هذه الرموز أن يترك صفات الغير مرغوبة مثل الأنانية والسر و التحلي بمكارم الأخلاق للارتقاء بذاته إلى مستوى أعلى من الدرجات وليصل بغيته .

بقي السالك يقطع المسافات ، حتى رآه الأمير فرأى نفسه ، فراح يسأل : فأخبرني من أنت ؟ فيجيب :

---

[1] _شيمل أنا ماري ، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف ، تر السيد محمد اسماعيل ، منشورات العمل ، ط(1)، 2006، ص: 469 .

[2] _بلعلي آمنة ، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء مناهج نقدية معاصرة ، دار الأمل ، الجزائر ، د(ط) ، 2009 ص: 243 .

يسائلني من أنا علما وتصويرا أنا الكتاب الذي أسماه مسطورا

ثم قال له أنا الخليفة والوزير أنا خليفة الذات في تدبير الأفعال من تدبير الصفات أنا المثل وأنت المثال فسجد له اعتكف في حضرته . [1]

فلقد كان الغاية من هذه الرموز هو التخلص من العناصر الأرضية و الانقطاع عنها لتسمو نفسه إلى العالم الأعلى ويكون قد ترك تلك العناصر التي كانت تعيق وتحجز بينه وبين ربه .

ولقد خرج ابن عربي عن قيد الحال و الواحد ، لينطلق في عوالم العلوم اللدنية الالهامية ، وهو في انطلاقه هذا لم يفارق ميزان العقل الشرعي ، متبعا في ذلك سنة الصوفية في علومهم ، و وتلخصها مقولة : " كلما نكت في قلبي نكت القوم لا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب

و السنة . " [2]

لقد اهتم ابن عربي في اقتضاء علمهم واخرها على اتباع سنة النبي وكتاب الله ولم يخرج عنهم أبدا وذلك الانفتاح بصيرته ونقاء وصفاء وجدانه فلقد جاهد كثيرا لبلوغ غايته وهي الحقيقة .

فالتخلص من العلائق وظائف أساسية بدونها لا تتسنى لمتوالية الارتقاء عبر السماوات أن تتم ويقول ابن عربي " جاءني رسول الله التوفيق ليهديني سواء الطريق ، ومعه براق وشق صدري بسكينة ، وقال له تأهب لارتقاء المكينة " ، ثم بدأت المرحلة الثانية وهي العروج عبر السماوات ، وهي بمثابة التجربة الأساسية ، رفقة الرسول فيمر عبر السماوات ، ابتداء من سماء الوزارة ، وهي الأولى الخاصة بآدم إلى السماء السابعة ، ثم الوصول إلى سدرة المنتهى ، ليتم بعد ذلك الانتقال من حيز إلى آخر ، كالوصول إلى الكرسي ، ثم الرفارف العلى فحضرة قاب قوسين ، فاللوح المحفوظ ، وحضرة الجرس ، ثم التحقق بالمقام المحمدي ومخاطبة الله له ، [3]

---

[1] _ المرجع السابق ،ص: 243 .

[2] _ ابن عربي الإسراء إلى مقام الأسرى ،المصدر السابق ، ص: 17 .

[3] _ بلعلي آمنة ، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية ،المرجع السابق ، ص : 244 .

ورأي ابن عربي أنه عرج به مثل عروج النبي صلى الله عليه وسلم وحصل معه مثله لكن عروجه كان في المنام ويروي أن النبي كان مرافقه في رحلة معراجه .

وأثناء كل هذه التنقلات يواصل حتى وصفه سدرة المنتهى ويقول عنها : " لا يستطيع أحد وصفها أو نعتها ، وإذا كان هذا فكيف يصف أحد حقيقتها " ، وفي حضرة الكرسي يسأل السالك عن مسجد الوصي ومدينة الرسول ، وحدث حوار بينه وبين شيخ رآه هناك فقال له : " فمن أراد المدينة فليقصد الباب ، ويتملق للبواب " . [1]

وشرح ابن عربي كل ما رآه في مسيرة رحلته هذه أو عروجه أنه التقى بمشايخ أشخاص قاموا بإهدائه إلى الطريق الصواب وشرحوا له رموز ما يحدث له في كل مرحلة وكانت الغاية منها معرفية وفتح له عين الفهم .

ومنه تمكن السالك من الوصول الى الرفراف العلي ، وامتطى متن الرفراف وطار في جو المعرف فإذا هي مائة رفراف تدعى بالملأ الأعلى الأشرف ، وعرف باطنها من ظاهرها حتى وصل إلى قاب قوسين حيث تنضح الأسرار لأي عين ، هنا يتذكر السالك كل ما رآه في رحلته ، ثم كيف أنشئ له جناح الفناء فطار به إلى حضرة أو أدنى حتى أنزل في حضرة لوح التوحيد ، ورأى هناك مقامات أهل الريحان والروح ، ورأى مالا عين رأته ولا أذن سمعته ، حتى بلغ الحضرة القدسية فينادي عليه : " عبدي أنت حمدي وحامل أمانتي وعهدي ، أنت طولي وعرضي وخليفتي في الأرض ، و القائم بقسطاط حقي و المبعوث إلى جميع خلقي . " [2]

وفي هذه الرحلة المنامية التي يعجز الذهن عن وصفها يرى فيها السالك مالا يستطيع أحد تصوره وانكشف أمام الشيخ العديد من الأسرار الإلهية التي تحيل له رؤية ما وراء الحجاب .

---

[1] _ المرجع السابق ،ص : 245 .

[2] _ امنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي ،المرجع السابق ،ص :244 .

وفي رمزية لغة ابن عربي يذكر أن مذهبه كل ما أورده فيه فهو لا يقصد لفظة بعينها دون غيرها مما يدل على معناها إلا لمعنى ولا يزيد حرفا إلا لمعنى ، فما في كلامه بالنظر إلى قصده حشو ، وإن تخيله الناظر فلغلط عنده لا في قصد ابن عربي . [1]

وهنا يبين ابن عربي أن كل مصطلح وكل لفظ تلقاه و أقربه لم يكن دون قصد فلكل شيء في فلسفته معنى ومغزى إما باطني أو ظاهري باطني قد يصعب فهمه وظاهر لا يحتاج لتفسير وله رسالة في ذلك .

والرسالة هي أثر علوي وخطوة ربانية وعطية إلهية لا تكتسب بجهد ولا تنال بكسب الله يعلم أين يجعل رسالته ، فإن الجهد و الكسب في إعداد النفس لقبول آثار الوحي بالعبادات المشفوعة والفكر والمعاملات الخالصة عن الرؤيا فهي ليست اتفاقا جغرافيا حتى ينالها كل من هب ودب . [2]

يعتبر كل سالك في هذه الطريق القويم وعر الدرب ورسالة يبعث بها نتيجة صبر وقوة تحمل كبير .

الرؤيا لغويا يمكن أن تكون نظر بالعين ، كما يمكن أن تكون نظرة قلبية بمعنى العلم أو الظن الرؤيا لما يراه النائم وقد وردت في القرآن الكريم بمعاني متعددة جدا ، وهي مقام فيما يراه النائم .[3]

وذكرت في عدة آيات لقوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**" [4]

ليس من الضروري أن تكون الرؤيا بالعين المجردة قد تكون قلبية في المنام وقد تدل عن صدق أم لا .

ويرى الصوفية أن الرؤيا الصادقة هي علامة من علامات الورع والتقوى وللرؤيا الصادقة علامات تعرف بها ، وكثيرا ما تهدف الرؤيا إلى حقيقة من الحقائق كصورة تعرض أمام الرائي ، أو السائل التي يجوز أن يكون طالبا معرفتها ويستخير الله أن يلهمه الصواب و الحق في التغلب عليها . [5]

---

[1] _ ابن عربي ،كتاب الشاهد ، رسائل ابن عربي ،المصدر السابق ، ص : 74 .

[2] _ الغزالي أبو حامد ، معارج القدس ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، د (ط)، د(س)، ص: 106 .

[3] _ الشرقاوي حسن و معجم الألفاظ الصوفية ،المرجع السابق ، ص: 154 .

[4] _ سورة يوسف ، الآية : 36 .

[5] _ الشرقاوي حسن ، معجم الألفاظ الصوفية ،المرجع السابق ، ص: 155 .

وتعتبر الرؤيا الصادقة من الرؤى التي على الشريعة وتكرارها في العديد من المرات لتتأكد وهي من المبشرات لأنها تستند إلى النص و السنة .

و البشرى هي الرؤيا الصالحة التي يراها العبد أو ترى له ، ففي النوم تزايل النفس الروح فلا تستطيع النفس أن تسيطر على الروح ، وتلقى إليها ما تريد كما في اليقظة كما في اليقظة ويستثنى من ذلك القليل من ماتت نفوسهم وهم قبضة الحق ، لذلك فقد يبشرون يقظة . [1]

والله تعالى يهب من علمه لمن يشاء فالرؤيا الصادقة تختص بالأشخاص الذين أدركوا أن هذه الدنيا دار فناء و الآخرة هي الأبقى وتعتبر الرؤيا أدنى درجات الكشف .

أقر الصوفية بما من الله تعالى علمهم من علمه الواسع معرفة يقينية ، لا يتخللها شك أو غلط لأنها تأخذ قيمتها من علو مصدرها فهي متلقات مباشرة عن الله ، بدون وساطة ، سواء كانت عن طريق رؤيا أو إلهام أو الهاتف . [2]

والرؤيا المنامية الصادقة للصوفية دليل واضح على صدق نيتهم مع الله وحسن التصديق بسعة عطائه وكثرة خيراته وعظمته وعده بالجزاء .

الأولياء لهم إسراءات روحانية برزخية ، يشاهدون فيها معاني متجسدة في صورة محسوسة الخيال يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصورة من المعاني ، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء ، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسراء الجسم واختراق السماوات و الأفلاك حسا ، وقطع لمسافات محسوسة ، وذلك كله لورثته معنى لا حسا من السماوات فما فوقها ، و اسراءات

---

[1] _ المرجع نفسه ، ص : 155 .

[2] _ بالعلى آمنة ، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ،المرجع السابق ، ص: 183 .

الأولياء معارج الأرواح ورؤية قلب وصور وبرزخيات ومعان متجسدات ، ولهذا قيل ك كل غيبة لا تعطي علما لا يعول عيها . [1]

فالأساس من المعراج والرمز من الرؤية المنامية كل واضح راشد موجه وان لم يكن هذا هدفه فهذا ليس علم نافع ولا تصنف ضمن الرؤية الصادقة .

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه أنه رأى الله في المنام مرتين ، وأمره بنصح عباده وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى الحق في النوم ، كما روي أن الإمام أحمد بن حنبل أنه رأى الله مئة مرة . [2]

وتصح الرؤية المنامية للمقربين بصدق النية الطيبة وبشدة التعلق بكلام الله وتصديق به وبكل مافيه من معجزات فهذا دليل على عظمته سبحانه وتعالى .

وإذا وصل الراقي في المعراج المشروع ووصل إلى غاية فشاهد الأمر على ماهو عليه في نفسه، علم أنه رجل من وطنه وما انتقل من مسكنه ، لأنه على حالة واحدة من الأزل إلى الأبد

وما كان تنزيله إلا بحسن الشعور بالمراتب . [3]

وإذا كانت الرؤية صادقة وصحت لدى الصوفي فهذا كرم عليه من الله ومن عطائه الواسع فحتى النفس في ترحال متواصل وليس لها محط حتى إلى الوصول إلى الجنة وهي عبارة عن نفحة من نفحات الجلال و الجمال و الكمال .

---

[1] _ الغراب محمد محمود ، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس من كلام ابن عربي ، مطبعة نضر ، د (م) ، ط(2) ، 1994 ، ص: 21 .

[2] _ المرجع نفسه ، ص : 9 .

[3] _ ابن عربي، الاسفار عن رسالة الانوار فيما يتجلى لاهل الذكر من انوار ،المصدر السابق ، ص: 43

ولقد أخذ ابن عربي من النفري الأفكار الرئيسية لموضوع الرؤية و المشاهدة ، لأن النفري هومن جذور الموضوع ، وتجاوز بها سكون التصورات السابقة في مسألة الحجاب وعلاقته الوثيقة بالرؤية . [1]

انتقلت الرؤية إلى ابن عربي عن طريق النفري واستعملها ابن عربي في العديد من الأمور و يرى أن الجهل هو الذي يقف حاجب وراء الرؤية ومن عرف الحجاب أشرف على الكشف .

أدخل ابن عربي موضوع الرؤية ة المشاهدة إلى عدة مستويات منها " الشهود " و " الشهود خلف حجاب " و " والشاهدة الذاتية " ، و " شهود الرفيق " ، و " الشهود في الوجود " ، ثم " المشاهدة " بفهم أنها إحدى مراحل الفتوح ، والمشاهدة عند الرؤية في الأصل ، والرؤية يسبقها علم بالمرئي ، لذلك يحكمها الإقرار و النفي في حين أن الرؤية لا إنكار فيها ، كما أن الرؤية لا تغني ، بل توفر للرائي العلم و اللذة ، على عكس المشاهدة حيث لا لذة فيها ولا علم . [2]

ويعتمد ابن عربي في هذا الموضوع على ربط الرؤية و المشاهدة و الكشف للاطلاع على بعض المعاني و الأسرار و نجد أنه اعتمد في هذا على نفس رأي النفري .

ولقد استخدم ابن عربي نفس المصطلحات التي استعملها النفري ، مثل " المعرفة " و " رؤية الخصوص " و" الحيرة " و " البيت المعمور "كما وظف الرؤية في عدة مسائل مثل معراجه الصوفي . [3]

ومنه نستخلص أن مشايخ الصوفية لم يأتي علمهم من لا شيء استقي من بعض الصوفية الآخرين وطوره فابن عربي طور أسس وسبل الرؤية في المعراج الصوفي حيث كانت رؤية رمزية لا يصور هل عقل إنساني وتميزت بالصدق وقوة أدلتها .

---

[1] _ ابن عربي ،كتاب الجلالة ن رسائل ابن عربي ،المصدر السابق ، ص : 43 .

[2] _المصدر نفسه ، ص: 44 .

[3] _ ابن عربي ،كتاب الجلالة، رسائل ابن عربي ، المصدر السابق ، ص: 44 .

الخاتمة

تصدر أهمية الشيخ الأكبر في التراث العربي الإسلامي في كون أن أرائه في الفلسفة الإلهية، وعلم الكون، وعلم النفس، وعلم الإنسان، تشكل مذهبا متكاملا وهو بهذا الشكل يعتبر نقطة انعطاف داخل التراث الصوفي الإسلامي، لأن التراث السابق عليه كان مقصورا على جملة الوصايا والمواعظ والرياضات والمجاهدات التي يجب على السالك أن يسلكها في طريقه، فلا البسطامي، ولا ابن مسرة، أو الحلاج و لا حتى السهر وردي في رموزه وإشراقه استطاع أن يسلك إلى المكانة التي وصل لها الشيخ المرموقة، وإنما ما يوجد عند كل واحد منهم ما هو إلا لمحات بارقة من النور تضئ جانبا من الحقيقة التي تهم المتصوف فهو الناظم لأفكارهم.

كما أنه على يد ابن عربي تحددت بوضوح و بعمق مدلولات المصطلحات الصوفية المتداولة قبله مثل وحدة الوجود، الإنسان الكامل، المعراج، الفناء، الحب، و العقيدة الصوفية لم تتخذ شكلها الصريح والواضح إلا على يده.

كان الشيخ الأكبر في هذه المسائل التي مرت بنا كالطائر الذي يحسن التنقل ، كما يحسن السفر والهجرة من المغرب إلى الشرق ومن المشرق إلى المغرب، وأحسن الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى في اسرائه وفي معراجه كما كان للخيال في ذلك منزلة وأهمية خاصة.

وعليه فإن اللغة الصوفية ليست سهلة الفهم فاللغة عند الشيخ الأكبر هي فقط للخاصة وخاصة الخاصة ويعتبرها مكنون إلهي أي ليست من شأن العامة.

كما تعتبر اللغة لدى المتصوفة لها مكانة هامة وبارزة جدا كمكانة المنطق في الفلسفة الإسلامية، فهو ألة تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ والزلل، فكذلك للغة مكانتها البارزة لأنها ترتبط بالألوهية وبإيجاد الموجودات. كما تكمن أهمية اللغة في فلسفة ابن عربي الصوفية في التعبير عن الآراء و المكاشفات التي تحتاج إلى براعة كبيرة.

إن علم الحروف يتقدم عن سائر علوم اللغة وهذا كون أن الألفاظ مكونة من حروف والحروف هي عبارة عن هواء يخرج من تجويف القلب. ويعتبر ابن عربي أن علم الحروف يقيني منزه من الخطأ ومن يطلبه دون عناية إلهية هو معرض للخطأ والخطر.

خص ابن عربي الحروف بأهمية كبرى ووضع لها مراتب متعددة ومقامات متدرجة، كما خص أيضا كل حرف بأسرار لا يعرفها إلا من عرف علم فك الرموز والإشارات. فتحدثنا في الفصل الثاني عن رمزية بعض الحروف منها الألف الذي عده ابن عربي القطب فهو لا يعتبره كسائر الحروف فمنه استمدت كل الحروف كيانها كما جعله حرفا يرمز إلى الذات الإلهية، فهو عند ابن عربي الأول ليس قبله شيء.

وأيضا حرف الباء عند ابن عربي له أهمية بالغة فلهذا وضع فيه كتاب "الباء ومنه كانت في المرتبة الثانية في الوجود فهي حرف شريف استمد شرفه من كونه أول حروف البسملة ومنه كان أول حرف في سور القرآن. وهناك أحرف كثيرة على غرار هذه.

و اعتبر الشيخ الأكبر أن هذا العلم من شأن الأنبياء والرسل والخاصة فقط، والسفر عنده كان دائما مسلك للعلماء والمفكرين وهو محطة جوهرية في حياة الفلاسفة، وهناك سفر البدن قصد به السفر نحو طلب العلم وسفر القلبي يكون في السماء، فالإنسان عند ابن عربي هو دائم السفر والترحال، فالصلاة هي أيضا سفر من حيث أن الآيات التي يقراها المصلي تمثل التقرب من الله والسفر إلى منازل عليا أي ترك منزل والسفر إلى منزل آخر والخيال لدى ابن عربي هو المحرك للإنسان في حياته.

أما بالنسبة لفكرة المعراج الصوفي يعتبر معراج أبو يزيد البسطامي أول معرج صوفي و واجهته فيه عدة صعوبات وإغراءات كثيرة لكنه لم يترك الطريق الصحيح.

كانت فكرة المعراج الصوفي راجعة إلى تأثر المتصوفة بمعراج النبي الذي عرج فيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى هو حقيقة قائمة بذاتها كانت بسرعة البرق، لكن معراج الصوفي كانت رؤية مناميه ولم يأتي تشريع من الله عز وجل.

قائمة المصـادر و المراجع

القران الكريم

الحديث النبوي

أولا :المصادر

1. ابن عربي ، (كتاب الشاهد كتاب الجلالة)،رسائل، ابن عربي ،تحقيق : عباس قاسم محمد ،منشورات المجمع الثقافي ، الإمارات،ط1،1998 .
2. ابن عربي ، التجليات الإلهية، تحقيق :عثمان إسماعيل يحي ، مركز دانشكاهي ،طهران د(ط)،1988.
3. ابن عربي ، المبادىء والغايات في معاني الحروف والغايات ،تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ،لبنان ، ط1 ، 2006.
4. ابن عربي ، ترجمان الأشواق ،تحقيق :عبد الله المطلوب ،دار المعرفة،لبنان،2005.
5. ابن عربي ،الإسراء إلى مقام الاسرى ،تحقيق :سعاد الحكيم ،لندرة للطباعة،لبنان،ط1.1988.
6. ابن عربي ،الأسفار عن رسالة الأنوار فيما تجلى لأهل الذكر من أنوار ،تحقيق :ابراهيم الكيالي عاصم ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط،2004.
7. ابن عربي ،الفتوحات المكية،الجزء1،تحقيق :شمس الدين أحمد ،دار الكتب العلمية ،لبنان،2006 .
8. ابن عربي ،تنزيل الأملاك حركات الافلاك، تحقيق :نواف الجراح ،دار صادر ،بيروت ،د(س)
9. ابن عربي ،شجون المسجون وفنون المفتون ،تحقيق :كسروي حسن سيد ، دار الكتب العلمية ،لبنان ط(1)،2007.
10. ابن عربي ،فصوص الحكم ،الجزء 1،تحقيق الواقع لا عفيفي ،دار الكتاب العربي ،لبنان، د(س).
11. ابن عربي ،كتاب الباء المطبعة المنبرية، القاهرة،ط1'،1954.

12. ابن عربي ،لوازم الحب الإلهي ،تحقيق :فوزي الجبر ،دار معد، د(م)،ط1،،1998 .

13. ابن عربي ،انشاء الدوائر ،تحقيق نيبرغ ،منشورات مواقف ،لبنان ،د(ط)،2012.

14. ابن عربي ،في ميزان البحث والتحقيق ،تحقيق :عبدالقادر بن حبيب الله السندي ،دار البخاري ،المدينة ط1 ،1991.

ثانيا :مصادر صوفية أخرى.

15 . أبو حامد الغزالي ،معارج القدس ،مطبعة الاستقامة ،القاهرة ،د(ط)،د(س).

16 . الطوسي ،اللمع في التصوف ،دار الكتب الحديثة تحقيق :عبد الحليم محمود ،مصر ،1960.

17 . عبد الكريم القشيري ،الرسالة القشيري ،تحقيق :عبد الحليم محمود ،دار المعارف ،القاهرة ،1330.

ثالثا : المراجع .

18 . ابراهيم ياسين ،المدخل إلى التصوف الفلسفي ،منتدى الأزبكية ،مصر ،د(ط)،2002.

19 . ابن الجوزية ،كتاب الروح ،دار الكتب العلمية لبنان ،1975.

20 . ابن بلاثيوس ،ابن عربي حياته ومذاهبه ،ترجمة::عبد الرحمن بدوي ،مكتبة الانجلو المصرية، ،صر1965.

21 . ابن جني ،سر صناعة الإعراب ،الجزء 1،تحقيق :محمد حسن محمد حسن إسماعيل ،دار الكتب العلمية، لبنان ،2000.

22 . أبي ظهير احسان ،التصوف المنشأ والمصدر ،إدارة ترجمان،باكستان،ط1، 1986 .

23 . ابي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ،سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ،خلد بن عبد الرحمن بن حمد ،دار بلنسية ، السعودية ط1 ،2011.

24 . احمد الشنواني ،الخالدون من اعلامالفكر،دارالكتابالعربي،دمشق،ط1،2007.

25 . احمد الصادق ،إشكالية العقل والوجود في فكر ابن عربي ،دار المدار الإسلامي ،لبنان ،ط1 ،2010.

26 . احمد بن على القلقشندي ،صلح الأعشاب في صناعة الإنشاء ،تحقيق :علي الطويل يوسف ،دار الفكر ،دمشق ،1987.

27 . آمنة بلعلى ،تحليل الخطاب الصوفي في ضوء مناهج نقدية معاصرة ،دار الأمل ،الجزائر د(ط)،2009.

28 . انا ماري يشمل ،الأبعاد الصوفية في الإسلام تاريخ التصوف ،ترجمة :إسماعيل محمد السيد ،منشورات الجمل ،ط1 ،2006 .

29 . بن رزق محمد بن كروي ،الإسراء والمعراج ،دار فواز ،المدينة المنورة ،د(ط)، 1412هـ .

30 . حسن نصر ،ثلاثة حكماء مسلمين ،ترجمة :ماجد فخري ،دار النهار لبنان ،ط1 ،1971 .

31 . رينولد نيكلسون ،تاريخ الآداب العباسي ،ترجمة صفاء خاوصي ،منشورات المكتبة الاهلية ،بغداد،1968.

32 . الزين عاطف سميح ،خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ،دار الكتاب اللبناني ،لبنان ،د(ط)،د(س).

33 . سعاد الحكيم ،ابن عربي ومولد لغة جديدة ،المؤسسة الجامعية لدراسات ،لبنان ،1991.

34 . السعيد بو سقطة ،الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر ،منشورات بونة ،الجزائر، ط2 ،2008 .

35 . شبيب عدس العاجمي ،ابن عربي عقيدته و موقف علماء مسلمين منه من ق 3إلى ق 13، مكتبة أهل الأثر ،الكويت ،ط 1، 2011 .

36 . الشعراوي محمد ،متولي ،الإسراء والمعراج ،دار الجيل ،بيروت ،د(ط)،2003.

37 . عبد الباقي مفتاح ،بحوث حول كتب ومفاهيم الشيخ الأكبر ،دار الكتب العلمية ،لبنان ط1 ،2011

38 . عبد الرحمن بدوي ،دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ،ترجمة :كمال جاد الله ،دار الكتب العلمية ،د(م)؛د(ط)،د(س).

39 . عبد الرحمن عبد الخالق ،الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ،مكتبة ابن تيمية ،الكويت ،د(ط)،د(س).

40 . عبد الفتاح اليافعي بن صالح قديش ،الكشف والإعلام،مركز خالد بن الوليد ،صنعاء ،ط1 ،2017.

41 . عبد الله أحمد بن عجيبة معارج التصوف لحقائق التصوف ،تحقيق عبد المجيد خيالي ،مركز التراث ،المغرب د(ط)، ه1224

42 . العجلوني محمد الادريسي ،ابن عربي ومذاهبه الصوفي الفلسفي ،دار الثقافة ،المغرب ،ط2، 2004.

43 . علي الخطيب ،اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ،دار المعارف القاهرة ،د(ط)،1404.

44 . علي سامي النشار ،نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،دار المعارف ،القاهرة ط2 ،1980.

45 . علي شودكيفيتش ،الولاية والتوبة عند ابن عربي ،ترجمة :أحمد الحبيب ،دار القبة الزرقاء ،المغرب ،د(س).

46 . محمد متولي الشعراوي ،الانسان الكامل محمد صلى الله عليه وسلم ،دار الندوة ،مصر ،د(ط)،د(س).

47 . محمود قاسم ،دراسات في تصوف ابن عربي ، كلية دار العلوم ،القاهرة ،1970.

48 . محمود محمود الغراب ،الخيال عالم البرزخ والمثال لكلام الشيخ ابن عربي ،دار الكتاب العربي ،دمشق ،ط 2 ،1993.

49 . محمود محمود الغراب ،شرح رسالة روح القديم في محاسبة النفس من كلام ابن عربي ،مطبعة نضر ،د(م)،ط2،1994.

50 . ناصر الدين محمد الألباني ،الإسراء والمعراج ،المكتبة الإسلامية ،الاردن ،ط1 ،2000.

51 . نزلة أحمد الجبوري ،سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ،دار المدى ،بغداد،ط1،2016.

52 . نصر الدين الألباني ،صحيح الترغيب والترهيب ،مكتبة المعارف ،رياض ،ط1 ،2000.

53 . هنري كوبان ،الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي ،ترجمة :فريد الزاهي ،منشورات هرسم ،الرباط ،د(س).

رابعا : ومعاجم و موسوعات.

54 . ابن منظور، لسان العرب، الجزء 1 ، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002.

55 . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 1 ،دار الكتاب اللبناني ،لبنان ،1982.

56 . حسن الشرقاوي، معجم الالفاظ الصوفية، مؤسسة مختار، مصر ،ط1، 1987.

57 . سعاد الحكيم ،المعجم الصوفي ،مندرة للطباعة، لبنان،ط1،1981.

58 . عبد الرزاق الكشاني ؛إصلاحات الصوفية ،تحقيق :شاهين عبد العال ،دار المنار ،مصر ،ط1 ، 1992.

59 . ممدوح الزوبي، معجم الصوفية ،دار الجيل لبنان ،ط1 ،2004 .

خامسا : المجلات و الدوريات .

60 . عبادة صبري ،مشاهد من معجزة الإسراء والمعراج ،مجلة الحياة الجديدة ،عدد5625 ،2011.

61 . عباس صبري ،رحلة الإسراء والمعراج أكبر تكريم وأعظم تنزيل ،مجلة الحياة الجديدة العدد 6320 ،2013.

62 . عبد القادر بن عزة مستويات اللغة الصوفية عند ابن عربي ،حوليات التراث؛العدد10؛مركز النشر مستغانمي،2010.

سادسا :المواقع الكترونية .

63 . عبد القادر عيسى ،حقائق عن التصوف ،موقع الطريقة الشاذلية ، http://www.chzly.com . 25l11l2017 20 :00

سابعا :مذكرات واطروحات جامعية .

64 . ساعد خميسي ،الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ،إشراف عبد الرحمن التليلي، اطروحة دكتوراه ،جامعة منتوري قسنطينة،2005.

65 . فاطمة الزهراء هدي ،جمالية الرمز في الشعر الصوفي ابن عربي نموذجا ،إشراف محمد مرتاض ، رسالة ماجستير ،جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان ،2006.

فهرس الآيات

والأحاديث

الفهارس

فهرس الآيات:

الآيات	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿..... وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾	البقرة	155	32
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾	النساء	56	84
﴿ ....رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ .... ﴿١١٩﴾ ﴾	المائدة	119	33
﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾	المائدة	111	65
﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	الأنعام	41	17
﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾	الأنفال	12	41
﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	التوبة	105	01
﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَاهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	يوسف	20	21
﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	يوسف	36	96

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾	الرعد	28	36
﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ .... ﴿١٢٧﴾﴾	النحل	127	32
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾﴾	الإسراء	2-1	14
﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾﴾	الكهف	109	42
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ... ﴿١١﴾﴾	الحج	11	50
﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾	العنكبوت	05	35
﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾	لقمان	27	49
﴿... وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾	الاحزاب	52	34
﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾	يس	82	43
﴿.... وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾	ق	16	85
﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾	النجم	58	74-17
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	الرحمن	33	78
﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾	المطففين	15	35

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾	العلق	2-1	79

فهرس الحديث النبوي

الحديث	الرواة	الصفحة
﴿اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالقِ الناسَ بخلق حسن﴾	الترميذي	31

فهرس الأعلام

الاعلام	الصفحة
إبراهيم عليه السلام	75. 12
ابن العريف	55
ابن جوزية	63–75–71
ابن عربي	14–19–20–21–22–23–24–40–41–42–42–43–44–45–46–47–48–49–50–51–52–53–54–55–56–57–58–59–60–61–62–63–64–68–69–80–81–82–83–87–89–90–91–92–94–96–98–99
ابن مسرة الجبلي	46
أبو القاسم بن قاسي	28. 46
أبو جعفر الصادق	46
أبو علي الروذباري	11
أبي ذر معاذ بن جبل	31
احمد بن عطاء	34
أحمد زروقي	11
إدريس عليه سلام	82.74
أرسطو	13–80
أفلاطون	13–80
البسطامي	89–90–92
الترميذي	31. 46
جابر ابن حيان	46

جبريل عليه سلام	76. 75. 74
الجنيد	34333.12
الحلاج	46–21
رابعة العدوية	3532
سراج الطوسي	34–33–3229 –28
سقراط	80
الشبلي	56
العطار	12
الغزالي	80–33
القشيري	28
القشيري	28
كونفشيوس	80
محمد صلى الله عليه وسلم	–71–70–53–50–40–39–14–12 –84–83–82–77–76–75–74–72 97–95–94–92–91–87
موسى عليه سلام	73. 71. 82 .12
النفري	99. 98
نكلسون	21
هارون عليه سلام	75
يحيى عليه سلام	75
يوسف عليه سلام	71– 82

الملاحق

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الشكر والعرفان	01
الإهداء	02
مقدمة.	07–04
الفصل الأول: التصوف المفهوم والمصطلح	37–08
المبحث الاول: مدخل مفاهيمي (التصوف، الرمز، المعراج، السفر، الكشف، الخيال)	09
المبحث الثاني: حقيقة التصوف عند ابن عربي	19
المبحث الثالث: المقامات والأحوال	27
الفصل الثاني: البناء الرمزي عند ابن عربي	68–38
المبحث الأول: اللغة في الكتابة الصوفية الاكبرية	39
المبحث الثاني: رمزية الحروف عند ابن عربي	50
المبحث الثالث: الخيال والكشف الصوفي	60
الفصل الثالث: حقيقة المعراج الروحي في تجربة ابن عربي	99–69
المبحث الأول: رحلة المعراج النبوي.	70
المبحث الثاني: السفر ورمزيته في فلسفة ابن عربي	80
المبحث الثالث: الرمز والرؤية في المعراج الصوفي	89
خاتمة	102–101
قائمة المصادر والمراجع	107–103

فهرس الايات و الاحاديث	111–109
فهرس الاعلام	113
الملحق	116
فهرس الموضوعات	117

.

الملخص

ابن عربي تطرق إلى موضوعات مهمة في الفكر الصوفي كما تأثر به العرب والغرب في فكره ،فاللغة عند ابن عربي هي مكنون الهي ،ويعتبر علم الحروف له دلالات عرفانية ذات صلة بالعلم الإلهي ،والعالم كله مليء بالرمز ،وورث من الرسول صلى الله عليه وسلم فكرة المعراج لكن عروج ابن عربي كان في المنام بينما معارج الرسول حقيقة عظى كما بعث بتشريع للبشرية وهنا يكمن الفرق بين معارج النبي و المعراج الولي

الكلمات المفتاحية : اللغة ،الرمز ،السفر، المعراج الصوفي.

ABSTRACT

Ibn al-Arabi a abordé des sujets importants de la pensée soufie, influencés par les Arabes et l'Occident dans sa pensée: le langage d'Ibn Arabi est celui qui est possible et la science des lettres a une connotation épistémologique liée à la science divine. Al-Maraj, mais Arj Ibn Arabi était dans un rêve tandis que le Prophète est une grande vérité alors qu'il envoyait une loi à l'humanité, et c'est là que réside la différence entre le prophète Maraj Al-Wali

Mots-clés: Langue, Symbole, Voyage et Education

ABSTRACT

Ibn al-Arabitouchedupon important topics in Sufi thought, as wasinfluenced by the Arabs and the West in histhought. The language of Ibn Arabiisthatwhichis possible, and the science of letters has an epistemological connotation related to the divine science. The whole world is full of symbols. Al-Maraj, but Arj Ibn Arabiwas in a dreamwhile the Prophetwas a greattruth as he sent legislation to mankind and here lies the differencebetween the Prophet'sexaltedProphet

Keywords: Language, Symbol, Travel and Education